وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر- بسكرة-

كلية الآداب واللغات.

قسم الآداب واللغة العربية

جماليات التشبيه في كتاب " التشبيهات من أشعار أهل الأندلس " لابن الكتاني الأندلسي .

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص : نقـــد أدبـــي

إعداد الطالب:

عبد المالك عجال

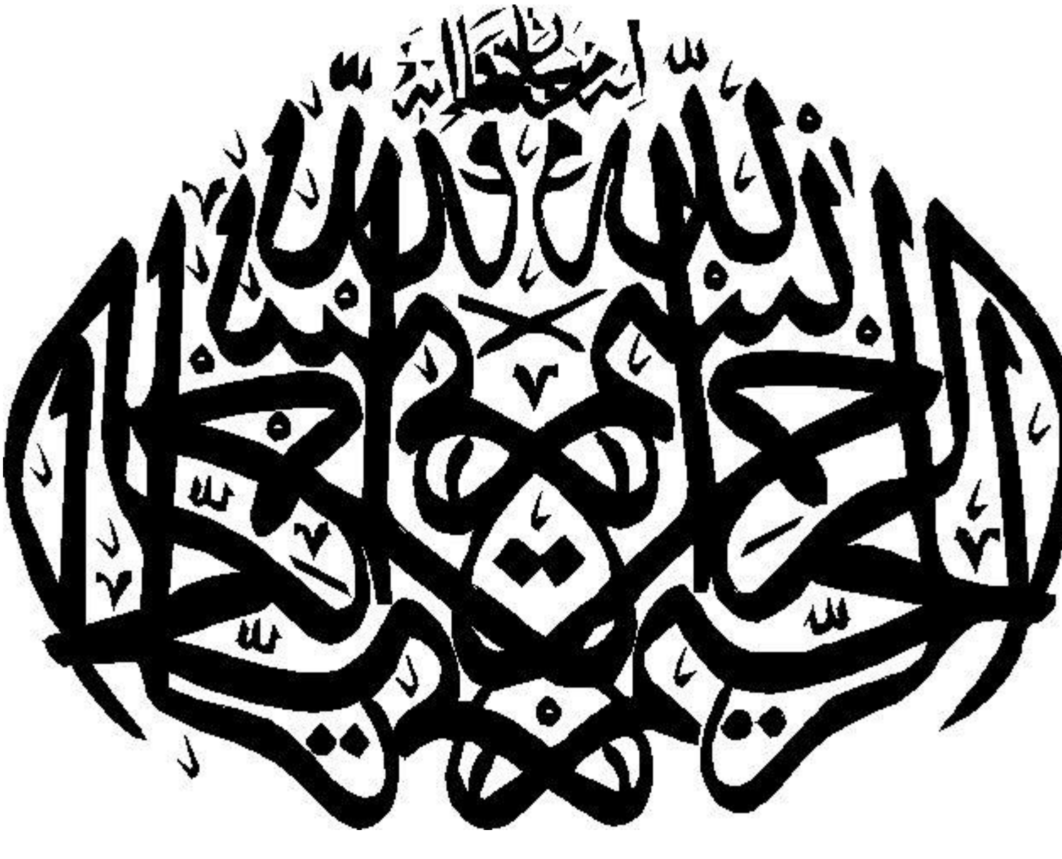
إشراف الأستاذ الدكتور:

امحمد بن لخضر فورار

السنة الجامعية:

1437/1436هـــ

2016/2015 م



تحميل كتب http://abbassa.wordpress.com

مقدمة

مقدمـــــــــة

يمتلــك الأدب الأندلســي مميـزات وخصــائص تجعلــه ينفـرد مــن بــين مختلــف الآداب الأخـرى سـواء فـي مجـال النثـر أم الشـعر ، هـذا الأخيـر الـذي كـان ولا يـزال محـط اهتمـام كثيـر مـن الدارسـين والنقـاد نظـرا لتـوفره علـى سـعة الخيـال والقـدرة على التجديد والابتكار سواء على مستوى الشكل أم المضمون .

لـذا تعـددت الدراسـات فـي الأدب الأندلسـي عمومـا ، والشـعر منـه علـى وجـه الخصـــوص ، فظهــرت بـــذلك الكتـــب القيمـــة والمصـــادر الضـــخمة التـــي حاولـــت الكشف عن أهم الخصائص الجمالية التي توفر عليها الأدب الأندلسي .

ومــن بــين تلــك المصــادر نجـد كتــاب " التشـبيهات مـن أشـعار أهـل الأنـدلس " الـذي يعـد أول مجموعـة شـعرية وصـلتنا تمثـل العصـر الأمـوي والتـي كـان لـــه الفضـــل فـــي تـــدوينها هـــو الأديـــب (ابـــن الكتـــاني) الأندلســـي ، ولأن الأدب الأندلسـي غزيـر بالصـور الفنيـة التـي أبـدع فيهـا أصـحابها ، لمحنـا ظـاهرة التشـبيه التـي بـدت وكأنهـا تطغـى علـى جـل صـفحات الكتـاب ، بالإضـافة إلـى مـا تحملـه هـذه الظـاهرة مـن خصـائص فنيـة أبـدع فيهـا الشـعراء قـديما وحـديثا ، ممـا جعلنـا نوجه العناية نحو معالجة البحث الموسوم بـ:

جماليـات التشـبيه فـي كتـاب " التشـبيهات مـن أشـعار أهـل الأنـدلس " لابـن الكتـاني الأندلسي .

وسـبب اختيـاري هـذه الظـاهرة موضـوعا للدراسـة هـو كونهـا تعـد مـن أبـرز الظـواهر الجماليـة التـي امتـاز بهـا الأدب الأندلسـي ، وطغيـان التشـبيه علـى صفحات الكتاب.

أما الإشكاليات المطروحة في هذا البحث هي :

مـن هـو ابـن الكتـاني الأندلسـي ؟ ، ومـا هـي أبـرز الموضـوعات التـي تناولهـا هـذا الأخيـر فـي مختاراتـه الشـعرية ؟، ومـا هـي أهـم الجماليـات التـي يمكـن استنباطها مـن أبياتـه الشـعرية ؟، وهـل كانـت التشـبيهات التـي أوردهـا تمثيـل وتقليـد للقـدامى أم أنهـا كانـت مختلفـة كـل الاخـتلاف لتوفرهـا علـى سـمات الجـده والابتكـار ؟، وهـل اسـتطاع ابـن الكتـاني فعـلا أن يعكـس مـا مـدى تطـور الـذوق الفنـي عنـد ذوي الاختصـاص خـلال العصـر الـذهبي ، أم أنـه كـان مؤلفـا عاديـا همـه الوحيـد الكتابة فقط ؟ .

وارتأت بنية البحث تقسيمه إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة .

وقـد خصـص المـدخل للتعريـف بالشـاعر وعصـره الـذي سـاهم بشـدة فـي صـقل موهبتـه ، أمـا الفصـل الأول فجـاء تحـت عنـوان : الجماليـة الأدبيـة بـين الصـورة والـذوق الفنـي ، وتطرقنـا فيـه إلـى مفهـوم الصـورة لغـة واصـطلاحا عنـد كـل مـن العـرب القـدامى والمحـدثين ، ثـم بعـد ذلـك انتقلنـا إلـى حاسـة الـذوق الفنـي مـن

خـــلال إبـــراز مـــدى أهميتهـــا علـــى مســـتوى الســـاحة الأدبيـــة والنقديـــة . وقـــد جعلـــت الفصـــل الثـــاني للدراســـة التطبيقيـــة قصـــد الوقـــوف علـــى أهـــم العناصـــر الجماليـــة التـــي احتوتهـــا تشـــبيهات الكتـــاني الفنيـــة مـــن خـــلال رصـــد أهـــم العناصـــر الأساســـية التـــي ســـاهمت بشـــكل كبيـــر فـــي تفـــرد وتميـــز تلـــك المختـــارات الشـــعرية ، والتـــي أنـــارت لنـــا الطريق لمعرفة واكتشاف بعض ملامح الذوق الفني لابن الكتاني الأندلسي .

ولمعالجـــة هـــذا الموضـــوع اعتمـــدت علـــى المـــنهج التـــاريخي والمـــنهج الفنـــي وأرفقتهمـــا بـــالمنهج الوصـــفي بغيـــة وصـــف وتحليـــل النصـــوص الشـــعرية كـــي أتوصـــل لبعض النتائج لهذه الدراسة والتي تكون بمثابة خاتمة .

أما أهم المراجع التي صاحبت هذا البحث هي :

- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة لأحمد هيكل .
- الأسس الجمالية في النقد العربي لعز الدين إسماعيل .
- بلاغة العرب في الأندلس لأحمد ضيف .
- دلائل الإعجاز لعبد لعبد القاهر الجرجاني .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني .

ومـن الصـعوبات التـي اعترضـت سـبيل انجـازي لهـذا البحـث نـدرة المراجـع التـي تناولـت هـذه الشخصـية فـي الأدب العربـي بصـفة عامـة و الأندلسـي بصـفة خاصة ، وقصر مدة البحث .

وفـــي الأخيــر أســأل الله عــزَّ وجــلَّ التوفيــق والنجــاح فـــي هـــذا البحـــث ، كمـــا لا يفـــوتني أن أتوجـــه بالشـــكر الجزيـــل إلـــى المشـــرف الأســـتاذ الـــدكتور **امحمـــد بـــن لخضـــر فـــورار** الـذي أمـدني بعلمـه الغزيـر وخبرتـه الرفيعـة ، وذلـل لـي كـل العقبـات حتـى اسـتوي البحـث علـى هـذا المنـوال ، وكـذلك أشـكر اللجنـة المناقشـة علـى تفضـلها بقـراءة هـذا البحـث بغيـة تصـويبه و إخراجـه فـي أحسـن صورة ممكنة .

مدخل :

التعريف بالمؤلف و عصره .

1 - التعريف بالمؤلف :

يعتبر (أبو عبد الله محمد بن الكتّاني الطبيب) من أشهر الأدباء الأندلسيين الذين برعوا في ميادين شتى .بفضل إسهاماته الواسعة في علوم متنوعة كعلوم النجوم والفلسفة والمنطق ومشاركة فعالة ومجيدة في تخصصات الأدب و الشّعر. وإذا تأملنا الورقة الأولى من المخطوطة حسب المحقق (إحسان عباس) سنجدها كالتالي : « إنه الشيخ أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب، ولم يرد ذكر اسم أبيه أو أي شيء يدل عليه»[1].

لكن الملفت للانتباه هو ذلك التضارب والاختلاف في الأقوال والآراء حول التسمية الكاملة لابن الكتّاني الأندلسي ، بحيث أننا لو تأملنا بعض التّرجمات التي قامت بتسليط الضّوء حول هذا الأديب الأندلسي لقلنا أن هناك تعارض فيما بينها على مستوى تسمية الكاملة لهذا المؤلف وبتحديد حول تسمية أباه . مثل ترجمة (الحميدي) التي أوردها إحسان عباس في مقدمة كتاب " التشّبيهات من أشعار أهل الأندلس " ، والتي يقول عنها في هذا الصدد:«الحميدي ترجم لرجل آخر كنيته أبو عبد الله وشهرته ابن الكتاني واسمه محمد ولكن أباه اسمه الحسَن وهو منسوب إلى مذحج فيقال فيه المذحجي ، وهذا نص ما قاله : محمد بن الحسَن أبوعبد الله المذحجي يعرف بابن الكتّاني ،

[1] - ينظر . أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب (420 هـ) . التشبيهات من أشعار أهل الأندلس . تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت . لبنان . ص 7 .

لـه مشـاركة قويـة فـي علـم الأدب والشّـعر ولـه تقـدم فـي علـوم الطـب والمنطـق والكـلام في الحكم والرسائل في كل ذلك وكتب معروفة »[1].

مـــن خـــلال هـــذا القـــول للحميـــدي يلـــج إلـــى الأذهـــان أنَّ محمـــد بـن الكتّـاني الطّبيـب هـو ابـن (الحسَـن) ، أمـا كنيتـه فهـي (المـذحجي) اسـتنادا إلـى مـذحج القبيلـة اليمنيـة المعروفـة والتـي تعتبـر مـن أقـدم القبائـل العربيـة السـبئية ، ولقـد تطـرق لهـذه القبيلـة العديـد مـن الشّـعراء والأدبـاء فـي مـدوناتهم مـن خـلال خصائصـها الموسـومة بالشّـجاعة و الحـرب آنـذاك ، كمـا أن لهـا شـأن مهـم فـي تلـك الحقبـة الزمنيـة نظـرا لـدورها الفعّـال فـي انتشّـار الإسـلام فـي كافـة أنحـاء الـيمن كلها .

واعتمـــادا علـــى هـــذا القـــول الســـابق نســـتطيع إدراك تلـــك البصـــمة المتميـــزة لابـن الكتـاني فـي ميـادين الشـعر والأدب، بالإضـافة إلـى تفوقـه الكبيـر فـي علـوم الطـــب والمنطـــق والكـــلام، ومـــن ذلـــك كـــان يلقـــب بالطبيـــب ، وهـــذا دليـــل واضـــح على موسوعية هذا الرجل وكثرة إطلاعه على مختلف العلوم والتخصصات .

أمـــا الترجمـــة التـــي دفعـــت بالنقـــاد إلـــى الحيـــرة والارتبـــاك هـــي ترجمـــة (القاضــــي صـــــاعد) والتـــــي يقـــــول عنهـــــا إحســــان عبـــــاس فـــــي مقدمـــــة كتـاب " التشّـبيهات " : « وقـد تـرجم القاضـي صـاعد لمـن كنيتـه أبـو عبـد الله واسـمه

---
[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 8 ، 9 .

محمـــد وشـــهرته ابـــن الكتّـــاني ، فـــذكر أن أبـــاه هـــو الحسُـــين ، وقـــال فـي ترجمتـه : « كـان قـد أخـذ الطـب عـن عمـه محمـد بـن الحسين وطبقتـه ، وخـدم بـه المنصور محمد بن أبي عامر وابنه المظفر »[1].

إنَّ المتأمــل للتــرجمتين يلاحــظ أن هنــاك مــواطن اخــتلاف وأخــرى اتفــاق فيمـا بينهمـا ، فـالاختلاف يكمـن فـي تسـمية الكاملـة لـلأب ، أمـا فـي الجهـة المقابلـة فـنلاحظ اتفـاق فــي التســمية والكنيــة والشــهرة فــي ميــادين الطــب والمنطـق والفلســفة والنجوم .

هـذا الاخـتلاف والانفصـام الحاصـل بالنسبـة لهـذه الشخصـية الأندلسـية ، ربمــا راجــع إلــى التــرجمات والمصــادر المتضــاربة التــي نقــل عنــها كــل مــن الحميــدي و القاضــي صاعــد فــي فتــرات متقدمــة لــم يـتم خلالهـا إعطـاء التسـمية المضـــبوطة والكاملـــة لـــبعض الأدبـــاء الأندلســـيين بســـبب وغـــولهم فـــي القـــدم ، واخــتلاف الترجمــات مــن شــخص إلــى آخــر وزَعــم كــل طــرف أنّ ترجمتــه هــي التــي توافـق الضــوابط العلميــة والمنهجيــة كونهــا أصـيلة المصــدر . أو ربمــا يكــون السـبب فــي تشــابه بعـض الكُنــى والأسـماء أمثــال :الحســن ،الحســين ، الحســني ، الحسيني ....الخ.

[1]- ابن الكتاني . التشبيهات . ص 7 .

هــذا وقــد ظــل اللــبس والغمــوض يســيطر علــى التســمية الكــاملة لهــذه الشخصيـــة الأدبيـــة ، ممـــا أدى بنـــا إلـــى التســـاؤل هـــل الترجمتـــان لشـــخص واحـــد أم لشخصــين مختلفــين ؟ : حتــى جــاء كــل مــن (ابــن الأبــار) و (ابــن عبــد الملــك المراكشـــي) اللـــذان قامـــا بإزالـــة ذلـــك الغمـــوض والإبهـــام ، بقولـــه :«إلـــى أن حـــلَّ كــل مــن ابــن الأبــار وابــن عبــد الملــك المراكشــي هــذا الاخــتلاف حــين ترجمــا لمــن اســمه : محمــد بــن الحســن بــن الحســين المــذحجي أبــو عبــد الله الكتّــاني ، فــأورد مــا قــاله مُحمــد صَــاعد بــن الحسُــين ، ومــا قالـــه الحميــدي عــن مُحمــد بــن الحسَــن ، وبذلك أثبتا أن الترجمتين لشخص واحد » [1].

ومممـــا ســـبق يتضـــح لنـــا أنَّ كـــلا التـــرجمتَين الـــواردتين فـــي الكتـــاب تتحـــدَثان عــن شــخص واحــد وهــو(أبــو عبــد لله محمــد بــن الكتّــاني الطّبيــب) ، هــذا الأخيــر الـــذي يمتـــلك كتـــاب آخـــر علـــى غـــرار كتـــاب "التشبيهـــات " ويتمثـــل فـــي " محمـــد و ســـعدى " الـــذي تنعـــدم حـــوله المعلومـــات والأخبـــار ، بالإضـــافة إلـــى كتابـــاته العديدة في ميادين الرسائل ، والطب ، والمنطق .

5 – ابن الكتاني . التشبيهات . ص10 .

2 – عصــره : أمــا إذا حاولنــا التعــرف علــى الفتــرة الزمنيــة التــي عــاش فيهــا هــذا الأديــب نقــول أنَّ ملامحهــا تظهــر جليــا مــن خــلال كتابــه الموســوم بـــ " التشــبيهات مــن أشــعار أهــل الأنــدلس" – الــذي هــو قيــد الدراســة – وذلــك مــن خــلال التطــرق إلــى فــئة الشّــعراء الــذين استشــهد بهــم ، و يبــدو أنَّ معظمهــم ينتمــون إلــى العصــر الأمــوي. وهــذا مــا أكــده إحســان عبــاس عنــدما قــال : « إن الكتــاب الــذي بــين أيــدينا يــدل علــى أنّ مؤلفــه لــم يتجــاوز عــام420 إذ أنَّ جميــع الشّــعراء الــذين ســاق لهــم شــعرا فــي كتــابه هــذا ينتمــون إلــى الفتــرة الأمــوية والعامريــة ، وأبعــدهم وفــاة مثــل (ابــن دّراج القســطّلي) ، (وعبــادة) و(يــونس بــن عبــد الله) ، (تــوفي ســنة 429) ، إنما نالوا الشهرة الأدبية في الفترة نفسها » [1].

يتبــين لنــا مــن خــلال مقدمــة الكتــاب أنّ الحقبــة التاريخيــة التــي ترعــرع فيهــا ابـــن الكتّـــاني تمثـــل العصـــر الأمـــوي ، وعهـــد الدولـــة العامريـــة التـــي أسســـها (محمــد بــن أبــي عــامر) ســنة : 978- 1002 م ، بعــد نــزاع طويــل مــع بعــض رجـــال الدولـــة آنـــذاك أمثـــال الســـيدة (صـــبح) ، و(القائـــد غالـــب) لينتهـــي بهـــم الصراع في الأخير إلى فوز(محمد بن أبي عامر) بقيادة شؤون الدولة .

لقـــد أســـس المســـلمون بالأنـــدلس دول وحضـــارات ومنـــابر علمـــية يشـــهد لهـــا كـــل المتخصصـــين والمثقفـــين ، وعـــليه أصـــبحت الفتـــرة الـــتي قضـــاها المســـلمـــون

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 11 .

في الأندلس من أزهى فترات الحكم الإسلامي في تاريخ العرب ، وهذا التاريخ الطويل نجده غالبا عند أهل المعرفة والتخصص يقسم إلى عصور وهي : عصر الولاة ، العصر الأموي ، عصر ملوك الطوائف ، عصر المرابطين ، عصر الموحدين ، العصر الغرناطي .

ونظرا لارتباط هذا المؤلف – ابن الكتاني الطبيب – بالعصر الأموي خاصة – العصر الذهبي – قررنا أن نستعرض أهم سمات ومميزات ذلك العصر خصوصا تلك التي تتعلق بالحركة العلمية والأدبية وأهم سماتها الفنية ، محاولين في ذلك التعرف على أهم الجوانب المؤثرة على النهضة الثقافية للأندلس ، هذه النهضة التي لعبت دور بارز في ظهور مؤلفات ضخمة ومتنوعة يشهد لها كل دارس للأدب الأندلسي .

« العصر الأموي ، ويبدأ بتأسيس عبد الرحمان الداخل لدولة بني أمية في الأندلس ، تلك الدولة التي تبلغ ذروة مجدها في عهد(عبد الرحمان الناصر) الذي يجعل منها خلافة عظيمة ، وينتهي هذا العصر بانتهاء ملك بني أمية هناك ، بعد سلسلة من الخلفاء العاجزين ، واختيار زعماء قرطبة لنوع من الحكم الجمهوري سنة 422 هـ – 1031 م »[1].

[1] – أحمد هيكل . الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . دار المعارف للنشر و التوزيع . القاهرة . 1980. ص 28 .

لقد عرفت الخلافة الأموية تطورا وازدهارا على المستوى الفكري والحضاري و نهضة ثقافية شاملة مست كل الجوانب المتعلقة بالعلم والمعرفة ، وكان هذا بالتحديد في آخر عهد الخلافة في فترتي حكم (عبد الرحمان الناصر) و ابنه (الحكم المستنصر) اللذين لعبا دور فعال في تهيئة الظروف المناسبة من أجل شموخ الحضارة الإسلامية بالأندلس ، وهذا ما تجلى فعلا في منارة العلم والعلوم قرطبة التي كانت مقصدا وقبلة لمعظم الطلاب والعلماء من كل فج وصوب ، ويقول فيها (ابن بسام): « كانت منتهى الغاية ، ومركز الراية ، وأم القرى ، وقرارة أهل الفضل والتقى ، ووطن أولي العلم والنهى ، وقلب الإقليم ، وينبوع متفجر العلوم ، وقبة الإسلام وحضرة الإمام ، ودار صوب العقول ، وبستان ثمرة الخواطر وبحر درر القرائح ، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر ، وفرسان النظم والنثر ،... و بها انتشأت التأليفات الرائعة ، وصنفت التصنيفات الفائقة » [1].

يتضح من خلال هذا القول لابن بسام أن الحركة العلمية آنذاك بالأندلس كان لها اهتمام كبير من جهة العلماء والأدباء نظرا لانتشار مختلف أنواع العلوم والمعرفة ، وهذا ما تجلى في مدينة العلم قرطبة ، وما هذا الوصف الأخّاذ إلا

1- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (542 هـ) . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . تحقيق إحسان عباس. ق 1/ م 1. دار الثقافة . بيروت . لبنان . 1997 . ص 33 .

أبرز دليل على ذلك ، بحيث أنه يمكن لنا القول أن ابن بسام جمع كل مميزات البيئة الأندلسية وصاغها على أساس بناء فني متجانس.

وقد لحقت مدن أخرى غير قرطبة بركب الثقافة والتطور العلمي والتمدن الحضاري في مختلف المجالات ، بالإضافة إلى انتشار الأمن والرفاهية ، « وعاش المجتمع الأندلسي في فترة الخلافة عهده الذهبي من الناحية الثقافية»[1].

وعليه يعتبر الجانب الثقافي الجانب الأقوى للمجتمع الأندلسي إبان العصر الأموي باتفاق النقاد والدارسين ، بل إنه يمثل الناحية التي تبرز أهمية الشخصية الأندلسية في تلك الفترة الماضية . وقد ساعد على تلك النهضة الثقافية كل المقومات التي من شأنها أن تقف بأي شعب من شعوب العالم كالاستقلال ، الازدهار ، الرخاء و المساواة ، « وقد أتيح للأندلس في فترة الخلافة خليفتان وفرا للناس وحدتا واستقرارا وحقق لهم أمنا ورخاء ، ومكناهم من تحضر ورقي ، فأتاحا لهم كل ما من شأنه أن ينهض بثقافتهم ويرقى بعلمهم . بل إنَّ هذين الخليفتين لم يكتفيا بتهيئة الجو للثقافة والعلم ، وإنما دفعا نهضتها الثقافية الشاملة ، وذلك بتشجيع القادمين إلى الأندلس من علماء المشرق ، وجلب الكتب القيمة من شتى الأقاليم[2].

[1] أحمد هيكل . تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . ص 184 .
[2] - ينظر . أحمد هيكل . تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . ص 184 .

لقد كان للخليفتين (الناصر) و (الحَكَم بن عبد الرحمان) الدور البارز والقيم في تبلور الحركة الثقافية والعلمية في الأندلس ، و توفير العوامل المساعدة لذلك ، ومن هذه الجهود المبذولة نجد تشجيع الرحلات العلمية بين الأندلس والمشرق من أجل تبادل مختلف المعارف والعلوم والخبرات التي تساعد على صقل الموهبة الفردية ،رغم الصعوبات والتحديات التي كانت موجودة في تلك الحقبة الزمنية .

«فالناصر قد أحسن استقبال (أبي علي القالي) وأسند إليه تأديب ابنه الحَكَم ، ومكن له ليعلم الأندلسيين في قرطبة »[1]. ومن أشهر شعراء الخليفة عبد الرحمان الناصر الأديب الفذ (ابن عبد ربه الأندلسي) الذي له الفضل في تأليف كتاب " العقد الفريد" ، الذي يعد من بين أعظم الكتب التي أثرت المكتبة العربية عامة والأندلسية بصفة خاصة . « وهو الذي نظم بعض غزواته في أرجوزته المشهورة ، وحاجبه أحمد بن عبد الملك بن عمر بن أشهب ، ووزيره عبد الملك ابن جهور وآخرون [2]» .

في حين أنَّ (الحَكَم بن عبد الرحمان) تميزَ بحبه الشديد لمختلف الكتب التراثية وغيرها ، وكان كثير الاطلاع والتحري عن أفكار وتقاليد الشعوب السابقة خاصة العربية منها ، « وقد أشتُهر بمكتبته الغنية التي بلغت أربعمائة

[1] - أحمد هيكل . الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . ص 185 .
[2] - مصطفى صادق الرافعي . تاريخ آداب العرب . دار الكتب للنشر والتوزيع . بيروت . لبنان . الجزء الثالث . ط1 . 2000 . ص 211 .

ألف مجلد . وقد كان يحرص على جمع الكتب لها ويدفع فيها أغلى الأثمان ، كما فعل مع (أبي فرج الأصفهاني) ، حين وجه إليه ألف دينار ليرسل إليه نسخة من كتاب " الأغاني " ، فبعث إليه بنسخة من كتابه قبل أن يظهر في بغداد »[1].

ومن أبرز تجليات النهضة والرقي الثقافي في الأندلس خلال العصر الأموي ؛ وفرة العلماء والمؤلفات من كتب ومخطوطات على تنوعها واختلافها، هذه الوفرة التي لم تكن معهودة في السابق ، أدت بالشخصية الأندلسية إلى أعلى مراحل النضج التفكيري والاستقلالية الثقافية .

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح لنا أن الفترة الأموية تعتبر من بين أرقى الفترات التي عاشها الشعب العربي عامة والمسلمين بصفة خاصة ، فهي تعبر عن مدى تطور الحس المعرفي والفكري لأقلام الأندلس آنذاك ، و تعبر كذلك أيضا عن أعلى مستويات التقدم الحضاري و الفني لشعوب العربية. ، هذه النهضة العظيمة قد ساعدت على رقي وتطور فكري وحضاري لم يشهد له مثيل في الأندلس من قبل .

إنَّ كل تلكَ الأسباب والعوامل التي تعرضنا إليها في حديثنا عن النهضة الثقافية في العصر الأموي ، و بالإضافة إلى أسباب أخرى ، كانت لها الدور

[1] - أحمد هيكل . تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . ص 185 .

الكبيـر فـي بـروز الاتجاهـات الأدبيـة والعلميـة التـي شـكلت بيئـة ثقافيـة تلـم بمختلـف المعـارف والمفـاهيم التـي سـاعدت علـى رقـي الأدب العربـي بصـفة عامـة والأندلسـي بصــفة خاصــة. و أثـرت كـل التـأثير فــي الأدبــاء والنقـاد فــي تلـك الفتـرة ، وهـذا مــا تلخــص فــي أهــم إبــداعات أدبــاء الأنــدلس التــي نــذكر منهــا : كتــاب " بغيــة الملـتمس فـي تـاريخ رجـال أهـل الأنـدلس" (للضـبي) ، و "الإحاطــة فــي أخبــار أهـل غرناطــة" (لابــن الخطيــب) ، و "نفـح الطيـب" (للمقـري) ، و"الـذخيرة فــي محاسـن أهـل الجزيـرة" (لابـن بسـام) ، و" البـديع فـي وصـف الربيــع"(للحميـري). وغيرها كثير لا يعد ولا يحصى رغم تنوعها واختلافها في شتى العلوم والفنون .

فكـل تلـك الكتـب التراثيـة لا يسـتطيع الباحـث الاسـتغناء عنهـا ، ومـن مثـل هـذا النمـوذج نجـد كتـاب" التشـبيهات مـن أشـعار أهـل الأنـدلس " لـ (ابـن الكتّـاني) الـذي نحـن بصـدد دراسـته وإزالـة السـتار عـن أهـم الأفكـار والجماليـات التـي يحتويهـا مـن أجـل معرفـة مؤلـف يشـهد علـى الإبـداع الأندلسـي محـاولين بـذالك الوقـوف عنـد أهم القضايا وأبرزها لمناقشتها .

الفصل الأول:

الجمالية الأدبية بين الصورة و الذوق الفني .

1- مفهوم الصورة لغة و اصطلاحا

- عند القدامى
- عند النقاد المحدثين

2- الذوق الفني و أنواعه

« جبل الإنسان على تتبع ظاهرة الجمال ومحاولة فهمها وتفسيرها ، إذ تعد من الطبائع المنطوية عليها أسرار النفس الإنسانية التي تمتلك قدرا من الوعي الجمالي ؛ لذلك فإنها تتوق دائما إلى الاهتداء إلى معنى يتعلق بجدوى الحياة ، والتماس ما يحقق الرضا والسعادة الروحية ، وبالمقابل فإن الإنسان كذلك يحاول دؤوبا ما يمكّنه من استلهام جوانب هذا الجمال كفعل مقابل لمحاولة تفسيره وسبر أغواره والبحث عن كينونته »[1] .

وعليه أنتج التاريخ البشري عبر أجياله المتعاقبة وعصوره المتضاربة إبداعات فنية خالدة وأعمال مختلفة باختلاف التخصصات و الانتماءات . سواء كانت من البيئة العربية أو الغربية أو غيرهما من المناطق والتخوم، ولأن هذه الأعمال قدر لها البقاء والصمود في مختلف الأزمنة نظرا لامتلاكها مميزات وخصائص تتجسد مجملا في فكرة "الجمال " ، هذا الأخير إلي ينفرد بجملة من الخصائص والمعايير التي منحت للأعمال الأدبية الاستمرارية والبقاء . « فالجمال هو الحق ، أو هو التعبير عن المثالي ، أو رمز الكمال الإلهي ، أو المظهر الحسي للخير »[2].

وعليه فإن الجمالية الأدبية لا تتحقق إلا بوجود الصورة التي تعتبر نتاج المبدع الذي هو بدوره يسعى إلى التأثير على المتلقي ، هذا الأخير الذي يمتلك

[1] - خليقة بن عربي . إشكالية الذوق الفني عند محمود محمد شاكر . دار صفحات للطباعة والنشر . دمشق . سورية . 2011 . ص 13 .
[2] - جورج سانتيانا . ترجمة محمد مصطفى بدوي . تحقيق زكي نجيب محمود . 2001 . ص 51 .

ذوق فني لا يشاركه فيه أحد ، كما أنه يحتكم لعامل الخبرة والثقافة المكتسبة التي تعتبر نتاج للقراءات المتعددة والمختلفة المقاييس والأبعاد في تحليله للنصوص، من أجل الوصول في الأخير إلى مرحلة تدعى : مرحلة التحليل الفني للصورة ، معتمدا في ذلك على الجانب الأبرز من قراءته التحليلية ألا وهو الذوق الفني .

1- مفهوم الصورة الفنية لغة واصطلاحا :

يعتبر مصطلح الصورة من أهم المصطلحات النقدية التي أسالت الكثير من الحبر لدى الأوساط النقدية والأكاديمية نظرا لأهميته البالغة في تحديد طبيعة العلاقة بين المبدع والمتلقي. في حين أننا لو تأملنا هذا المصطلح قليلا لوجدناه دخيلا نوعا ما على الثقافة العربية ، إذ أخذ الغرب هذا النوع من الدراسات على محمل الجد كمفهوم نقدي ، وانتقل هذا المفهوم إلى الثقافة العربية من خلال الاحتكاك الثقافي بين الحضارتين وهذا لا يعني أن العرب لم يعرفوا هذا المصطلح قط وإنما كان متداولا في التراث النقدي العربي . وهذا ما أكد عليه الباحث(جابر عصفور) بقوله : « ومع أن الصورة الفنية مصطلح حديث ، صيغ تحت وطأة مصطلحات النقد الغربي والاجتهاد في ترجمتها ، فإن الاهتمام بالمشكلات التي يشير إليها المصطلح القديم ، يرجع إلى بدايات الوعي بالخصائص النوعية للفن الأدبي . قد لا نجد هذا المصطلح – بهذه الصياغة الحديثة – في التراث البلاغي والنقدي عند العرب ، ولكن المشاكل والقضايا التي

يثيرهــا المصــطلح الحــديث موجــودة فــي التــراث ، وإن اختلفــت طريقــة العــرض والتناول ، أو تميزت جوانب التركيز ودرجات الاهتمام »[1].

أمــا إذا تمعنــا هــذا المصــطلح لوجــدناه فــي لســان العــرب (لابــن منظــور) علــى النحــو التــالي : « الصــورة فــي الشــكل ، والجمــع صُــورٌ، وَ صِــورٌ، وقــد صَــوَرَه فتصَــوَر ، وتصــورتُ الشـــيء ، توهمـــتُ صـــورَته ، فتصَـــوَرَ لِـــي ، والتصـــاويرُ ، التماثيلُ »[2].

- **الصورة عند النقاد القدامى :**

ولــو عــدنا إلــى مفهــوم الصــورة لــدى العــرب القــدامى – التــراث النقــدي – فإننــا نجــد هــذا الموضــوع قــد كــان متــداولا علــى طاولــة الدراســة آنــذاك ، ممــا يــدل علــى أهميتــه ، و يعتبــر(الجــاحظ) مــن أوائــل النقــاد العــرب الــذين تنــاولوا هــذه القضــية عندمــا كــان بصــدد التحــدث عــن مفهــوم الشّــعر ، ويقــول : « المعــاني مطروحــة فــي الطريــق يعرفهــا العربــي والعجمــي والبــدوي والقــروي والمــدني ، إنمــا الشــأن فــي إقامــة الــوزن وتخيــر اللفــظ وســهولة المخــرج ، وكثــرة المــاء ، وفــي صــحة

[1] - جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب . المركز الثقافي العربي . بيروت . ط 3 . 1992 . ص 7 .

[2] - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري) .لسان العرب . مادة (ش ،ع ، ر) . المجلد الرابع . دار صادر . بيروت . ط 1 . 1997 . ص85 .

الطبع ، وجودة السّبك فإنما الشّعر صناعة وضرب من النسّيج ، وجنس من التصوير»[1] .

يتحدث الجاحظ عن فن مهم من فنون اللغة العربية ألا وهو فن التصوير من خلال إبراز مدى أهميته ومكانته العالية استنادا إلى قيمته الجمالية المشحونة بداخله ، ويتبين من خلال كلامه أنّ هناك تلميح إلى مفهوم الصورة من خلال عبارة أن الشعر جنس من التصوير .لأن العرب آنذاك لم يصلوا بعد إلى مرحلة التقعيد .

وقد تزايد الاهتمام من طرف النقاد بالمستمع وذلك بإعطائه قيمة جد عالية في الجانب النقدي ، مما أدى هذا إلى تضاعف اهتمام المؤلف أو الشاعر بالطرف المقابل من المعادلة التواصلية وهو المستمع ، وذلك عن طريق التسابق والتنافس في ميدان صياغة الصور من أجل التأثير على عليه ، ومن ذلك نجد الشاعر الجاهلي (امرئ القيس) يقول في معلقته المشهورة [2] :

كأنِي غداة البينِ يومَ تحملُوا لدَى سّمراتِ الحي ناقفُ حنظّلِ

الشاعر هنا يشكو ألم فراق الحبيبة ورحيلها ، هذا المشهد الذي نقله إلينا امرئ القيس كان بواسطة فن التصوير الذي تمكن منه الشاعر بدرجة كبيرة ، من خلال نقله لكل ما يخطر بمخيلته إلى ذهن المتلقي بدقة متناهية .

---

1 - جابرعصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرت. ص 255 .

2 - امرئ القيس . الديوان . تحقيق مصطفى عبد الشافي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . 1989 . ص 31 .

وتحـدث بـن(رشـيق القيروانـي) عـن الصـورة الفنيـة فـي كتابـه " قراضـة الـذهب " ، ويقـول : « أنّ السـرقات لا تقـع إلاّ فيهـا ، وإنّ المفاضـلـة لا تقـوم إلاّ على أساس منها »[1] .

يتضـح لنـا مـن خـلال هـذا القـول لابـن رشـيق القيروانـي أنّ النقـاد العـرب قـد قـدموا اهتمامـا كبيـرا لموضـوع الصـورة ، وكـان قـولهم مجمـلا علـى سـبيل التعمـيم فـي جعـل الصـورة سـببا فـي ظـاهرة السـرقات الشـعرية ، لأنهـا السـمة التـي يتميـز بهـا كـل شـاعر عـن بقيـة الشـعراء ، ومـا ظـاهرة السـرقات إلا أبـرز دليـل علـى ذلـك ، كمـا أن حسـن الصـورة مـن عـدمها معيـارا أو خاصـية تعـرف بهـا قريحـة أو جـودة الشـاعر بخلاف الآخرين.

أمـا (عبـد القـاهر الجرجـاني) فقـد لمـح لمفهـوم الصـورة أثنـاء حديثـه عـن نظريـة الـنظم ويقـول :«لـيس مـن فضـل ومزيـة إلا بحسـب الموضـع ، وبحسـب المعنـى الـذي تريـد والغـرض الـذي تـؤمُّ . وإنمـا سـبيل الأصـباغ التـي تعمـل منهـا الصـور والنقـوش . فكمـا تـرى الرجـل قـد تهـدي فـي الأصـباغ التـي عمـل منهـا الصـورة والـنقش فـي ثوبـه الـذي نسـج ، إلـى ضـرب مـن التعبيـر والتـدبر فـي أنفـس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها »[2] .

[1] - ابن رشيق . قراضة الذهب في نقد أشعار العرب . تحقيق الشاذلي بو يحيا . الشركة التونسية للنشر والتوزيع . 1972 . ص 88 .

[2]- عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني . دلائل الإعجاز . تحقيق أبو فهد محمود محمد شاكر. ص87 ، 88 .

المفهوم الذي يمكن أن نستخلصه من التعريف السابق ، هو أنّ العمل الأدبي يقوم على أساس نظرية النظم ، هذه النظرية التي ركز عليها عبد القاهر الجرجاني أثناء دراسته للمؤلف والمتلقي ودورهما في العلاقة التواصلية بين الأفراد ، كما أنه ركز على موضوع الصورة بغية التأثير على المتلقي ونقله إلى عوالم المؤلف .فكلما كانت الصورة قوية كلما كانت مؤثرة ، والعكس صحيح .

هذه الصورة التي يتحدث عليها عبد القاهر الجرجاني يتحكم فيها المعنى الذي تحمله عبارة ما ، وبتالي يكون المعنى عاكسا لفكر صاحبه .

أما (قدامة بن جعفر) فيقول : « ولما كانت للشعر صناعة ، وكان الغرض من كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال ، إذ كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن له طرفان ، أحدهما غاية الجودة ، والآخر غاية الرداءة ، وحدوده بينهما تسمى الوسائط ، وكان كل قاصد لذلك لشيء من ذلك إنما يقصد الطرف الأجود ، فإن كان معه من القوة في الصناعة ما يبلغه إياه سمي حاذقا تام الحذق » [1] .

يريد قدامة بهذا القول أن يؤكد على ضرورة تجويد الشاعر لشعره والاهتمام به ، لأن الشعر صناعة وأسلوب من أساليب التصوير كما يرى الجاحظ ذلك . ويقول في موضع آخر :« إذا كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة

[1] - أبو الفرج قدامة بن جعفر . نقد الشعر . تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ص 74،75 .

الموضـوعة ، والشـعر فيهـا كالصـورة ، كمـا يوجـد فـي كـل صـناعة ، مـن أنـه لابـد فيهـا مـن شـيء موضـوع يقبـل تـأثير الصـور منهـا ، مثـل الخشـب للنجـارة ، والفضـة للصياغة » [1].

وفـي موضـع آخـر يؤكـد قدامــة بــن جعفــر علــى فكـرة التكامـل والتقابـل الموجـود بـين المـادة و الصـورة ، حيـث يطلـق علـى المـادة المعـاني والصـورة الشـكل ، لأن المعـاني دائمـا مـا تكـون للصـور الفنيـة أو بـالأحرى فإننـا بالكـاد نجـد صورة فنية تخلو من معنى عميق .

ومــن أهــم الأفكــار التــي يمكــن استخلاصــها مــن التعــاريف الســابقة هــو أن أعــلام النقـد العربــي اهتمـوا كثيـرا بالعلاقـة التواصـلية التـي تجمـع بـين المبـدع والمتلقــي فــي ظــل حرصــهم علــى جــودة اللغــة وخلوهــا مــن العيــوب الشــائعة والمستعصـية ، لأن الفكـر النقـدي العربـي كـان يحصـر موضـوع الصـورة فـي أقسـام البلاغـة المتنوعـة مـن تشـبيه واسـتعارة وكنايـة ،بغيـة خلـق فضـاء يقـوم علـى التـأثير والتأثر بين الشاعر والمتلقي .

فكلمــا كانــت الصــورة أشــد وقعــا علــى المتلقــي كلمــا كــان الكــلام أبلــغ ، فلـذة الجماليـة تكمـن فـي مـدى فنيـة الصـورة التـي يمكـن مـن خلالهـا السـيطرة

[1] - قدامة بن حعفر. نقد الشعر . تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي . ص 75 .

على المتلقي . لذلك اهتم النقاد العرب كثيرا بالتشبيه، و الاستعارة، والكناية في ظل اهتمامهم بقضية اللفظ و المعنى .

أما النظرية الجمالية عند العرب « فنجدها غير متبلورة إلى حتى الآن ، فهي لا يمكن تمثلها من حيث هي نظرية متكاملة فصل القول فيها أحد الفلاسفة العرب ، وتناولها تناولا مستقلا يشعر بالاهتمام أو يشعر بالوعي كما لا يمكن تتبعها في تطورها التاريخي ، لأن البداية غير واضحة ، وعناصر التكوين غير متميزة . وإذا كانت النظرية الجمالية تمثل الوعي الجمالي عند المفكرين وعامة الشعب في أمة من الأمم فإن النظرية التي تصور لنا هذا الوعي لم تصور بعد كما هي »[1].

يتبين لنا من خلال القول السابق لـ (عز الدين إسماعيل) أنَّ النظرية الجمالية في النقد العربي لم تصل بعد إلى المستوى المطلوب بسبب غياب الدراسات التي من شأنها معالجة هذه النظرية وجعلها متبلورة و جديرة بالمناقشة و الدراسة . لكن المتأمل لقضايا الشعر والنثر قديما بإمكانه أن يلمح الجمال بين طيات تلك الدواوين والأشعار ، وعليه فإن النظرية الجمالية عند العرب متعارف عليها قديما لكن لم تصل إلى مرحلة التقعيد والتنظير بسبب غياب الأبحاث والدراسات التي من شأنها أن تجعل لهذه القضية علما خاصا يستقطب الدارسين والمهتمين من جميع الجوانب .

[1] - عز الدين إسماعيل . الأسس الجمالية في النقد العربي . دار الفكر العربي . ط3 . 1974 . ص 130 .

- **الصورة عند النقاد المحدثين :**

أمـا النقـد الحـديث فقـد تطـرق أيضـا لمفهـوم الصـورة ، وعـن أهميتهـا يقـول جـابر عصـفور : « الصـورة الفنيـة – بهـذا الفهـم – طريقـة خاصـة مـن طـرق التعبيـر ، أو وجـه مـن أوجـه الدلالـة ، تنحصـر أهميتهـا فيمـا تحدثـه فـي معنـى مـن المعـاني مـن خصوصـية وتـأثير ، ولكـن أيـا كانـت هـذه الخصوصـية أو ذلـك التـأثير فـإن الصـورة لـن تغيـر مـن طبيعـة المعنـى فـي ذاتـه . إنهـا لا تغيـر إلا مـن طريقـة عرضـه وكيفيـــة تقديمـــه ، ولكنهـــا – بـــذاتها – لا يمكـــن أن تخلـــق معنـــى ، بـــل يمكـــن أن تحـــذف دون أن يتـــأثر الهيكـــل الـــذهني المجـــرد للمعنـــى ، الـــذي تحســـنه أو تزينه »[1].

نلاحـظ مـن خـلال هـذا القـول أن جـابر عصـفور يريـد الوصـول إلـى نتيجـة مفادهـا أن الصـورة الفنيـة طريقـة خاصـة فـي التعبيـر هـدفها التـأثير علـى السـامع مـن أجـل تزويـده بـأكبر عـدد ممكـن مـن المعـاني، ثـم إن الصـورة الفنيـة فـي حـد ذاتهـا تمثـل معنـى و أن البنـاء العـام للقصـيدة لا يتـأثر ولا يضـطرب إذا مـا نحـن قمنـا بحذف تلك الصورة فإننا نلاحظ التغير فقط على مستوى الصياغة .

أمـا (مصـطفى ناصـف) فقـد تطـرق هـو أيضـا لهـذا الموضـوع مـن خـلال كتابـة " الصـورة الأدبيـة " ، ومـن خـلال مفاهيمـه النقديـة يبـدو أنـه يـربط موضـوع

[1]- جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب . ص 332 .

الصورة بالتراث النقدي والبلاغي العربي ، وفي ذلك يقول : « الصورة في الأدب تطلق عادة للدلالة على كل ماله صلة بالتعبير الحسي ، وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعماري للكلمات »[1].

مصطفى ناصف يؤكد على الصورة الاستعارية الحية دون غيرها ، ولهذا فإن مفهوم الشكل الأدبي أو الأدبية تكاد ترادف عنده الاستعارة الحية ، ويقول : « يتفق النقاد على مكانة الاستعارة الفطرية من الشعر ، فكل ما عدا الاستعارة من خواص الشعر يتغير ، من مثل مادة الشعر ، وألفاظه ولغته ، ووزنه ، واتجاهاته الفكرية ، ولكن الاستعارة تظل مبدأ جوهري ، وبرهانا جليا على نبوغ الشاعر »[2].

يثير هذا الكلام أكثر من تساؤل ، فمصطفى ناصف يجمل الصورة الشعرية في الاستعارة فقط ويضَع الكناية والتشبيه والمجاز بأنواعه جانبا ، وما نستطيع قوله بخصوص هذا القول هو أن مصطفى ناصف أهمل ما جاء به التراث النقدي والبلاغي من أفكار ومفاهيم حول قضية الصورة الفنية ، بل يمكننا القول إن جل البلاغيين العرب كانوا يبدون اهتمامهم بكل الصور الشعرية رغم التفاوت في التفضيل إلا أنهم لم يصلوا إلى مرحلة النفي والإنكار .

---

[1] - مصطفى ناصف . الصورة الأدبية . دار الأندلس للنشر والطباعة والتوزيع . القاهرة . ط3 . 1996 . ص 3 .

[2] - محمد الولي . الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي . المركز الثقافي العربي . بيروت . لبنان . ط 1 . 1990 . ص 228،229 .

ويؤكد (عبد القادر القط) أن « الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص بالقصيدة ، ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالات والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد ، والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني »[1].

يريد عبد القادر القط أن يؤكد فكرة مفادها أن الصورة الفنية تكمن في الملكة المعرفية للشاعر ومنطلقاته الفكرية ورصيده اللغوي الناتج عن كل تجاربه السابقة في الإبداع اللغوي ، ليصل في آخر المطاف إلى المرحلة الأخيرة المتمثلة في صياغة تلك التجارب على شكل قالب فني . مرتكزا بالأساس على مجمل عناصر اللغة ومعاييرها الذوقية التي تتجلى بداخلها .

الشاعر الحديث يريد أن ينقل إلينا تجربته بكل ايجابياتها وسلبياتها ، وهذا الدور الكبير يتولاه الإلهام الشعري الذي يأتي على الشاعر في مراحل متفرقة ما يجعله يصاب بحالة من التشتت الذهني ، ويفقد السيطرة على فكره ، مما يصعب المهمة على القارئ في فك شفرات تلك الصور وإيجاد التحليل المناسب لها .

[1] - محمد الولي . الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي .. ص 10.

ومـن جهـة أخـرى نجـد (نعـيم اليـافي) الـذي يقـول : « إن لغـة الفـن لغـة انفعاليـة ، والانفعـال لا يتوسـل بالكلمـة وإنمـا يتوسـل بوحـدة تركيبيـة معقـدة حيويـة لا تقبـل الاختصـار نطلـق عليهـا اسـم (الصـورة) ، فالصـورة إذن هـي واسـطة الشـعر وجـوهره ، وكـل قصـيدة مـن القصـائد وحـدة كاملـة تنـتظم فـي داخلهـا وحـدات متعـددة هـي لبنـات بنائهـا العـام وكـل لبنـة مـن هـذه اللبنـات هـي صـورة تشـكل مـع أخواتهـا الصورة الكلية التي هي العمل الفني نفسه ».

تقتـرب الصـورة جـراء هـذا القـول مـن فقـدان مقوماتهـا الأساسـية التـي حـددها النقـاد العـرب القـدامى أمثـال الجـاحظ والسـكاكي وغيـره مـن العلمـاء ، ذلـك لأنهـا تقمصـت أدوار لا تليـق بهـا وتعتبـر غريبـة نوعـا مـا خصوصـا خروجهـا عـن دائـرة النقـد القـديم . نظـرا لخلـو هـذا التعريـف مـن الجانـب اللغـوي للصـورة وأهـم مـدلولاتها وعناصرها الأساسية .

أمـا (إبـراهيم عبـد الرحمـان محمـد) فيقـول : « نسـتطيع أن نميـز فـي الصـور بـين نـوعين منهـا : الأولـى صـور جزئيـة متنوعـة يبنيهـا الشـاعر غالبـا بنـاءا تشـبيهيا ، والأخـرى ، صـور كليـة أو أقـل لوحـات عامـة تـؤدي فيهـا هـذه الصـور التشـبيهية الجزئيـة وظيفـة بنـائية بعينهـا إذ تتحـول إلـى لبنـات فـي هـذا البنـاء التصـويري

المتكامل وهي لوحات يبنيها الشعراء عادة من خلال قص الأحداث وحكاية المواقف »[1].

يقسم عبد الرحمان محمد الصورة إلى قسمين رئيسين هما : الصور الخاصة بالشاعر وتكون غالبا منحصرة في التشبيه أي صور جزئية ، والقسم الثاني يتمثل في تحول تلك الصور الجزئية إلى لوحة فنية متكاملة ، كما أنه حصر نوع الصورة فقط في التشبيه وتغاضى عن الصور الأخرى كالاستعارة والكناية والمجاز والتورية ... الخ .

وهذا القول نجده ينتقص من القيمة التي تمتلكها اللغة العربية ، بحيث أنها اللغة الوحيدة من بين اللغات التي تتوفر على نسبة كبيرة من الصور التي بها يستطيع المرسل التأثير على سامعه .

في حين أننا نجد الباحث (عبد الفتاح صالح نافع) يقول : « وإذا كانت الصورة تقوم أساسا على العبارات المجازية ، فلا يعني هذا أن العبارات حقيقة الاستعمال لا تصلح للتصوير . بل إننا نجد كثير من الصور الجميلة الخصبة جاءت من استخدام عبارات حقيقية لا مجاز فيها .

من أهم الملاحظات التي نستطيع استخلاصها من خلال التعاريف السابقة للنقاد المحدثين ، هو ذلك الدور الكبير الذي تلعبه الصورة الفنية في

[1] - محمد الولي . الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي عند العرب. ص 10 .

علاقتهـا بـالمتلقي وتنميـة ذوقـه الفنـي والجمـالي، وخلـق تلـك الـروح الفنيـة النقديـة المتذوقـة للأعمـال الأدبيـة ، ويكـون الإحسـاس بالجمـال جـراء الممارسـة الفعليـة التـي تـؤدي إلـى تنميـة الحـس الجمـالي لـدى القـارئ المتـذوق . بالإضـافة إلـى أن الناقـد الفنـي لـه مميـزات خاصـة تجعلـه يختلـف عـن بقيـة الأدبـاء، لأن هنـاك أفكـارا ومفـاهيم يسـتطيع الناقـد أن يصـل إليهـا ويقـدم لهـا مبـررات وحججـا تجعـل منهـا قـراءة منطقية.

وفـي ظـل الحـديث عـن المتلقـي وملكتـه الذوقيـة التـي يعتبرهـا العديـد مـن النقـاد أنهـا تختلـف مـن فـرد إلـى آخـر لابـد مـن الوقـوف علـى مفهـوم الـذوق الفنـي مرورا بأهم خصائصه الفنية .

2- الذوق الفني و أنواعه:

يعد التذوق عملية مزدوجة الأبعاد ، فالشاعر أو المؤلف تربطه علاقة تذوق بأعماله الإبداعية والفكرية من جهة ، بينما في الجهة المقابلة هناك علاقة تذوق من نوع خاص تلك التي تربط بين المتذوق و استجاباته النقدية التي تغذيها مختلف تجاربه السابقة ، هذا الناقد الذي يتميز وينفرد بتلك النظرات الحادة التي تجعله في صراع متواصل مع أفكاره السابقة والنص الذي يقابله من أجل الوصول إلى الإجابة المحتملة .

إن التذوق الفني من بين الصفات الكثيرة التي يتميز بها الإنسان عن كافة المخلوقات ، فالناقد لا يستطيع إزالة الستار على الأعمال التي هو بصدد دراستها إلا بعد أن يقوم بتذوقها من أجل الوصول إلى أهدافه المبرمجة وغاياته السامية ، وبالإضافة إلى أن الذوق الفني يأتي على أشكال مختلفة كالإحساس بالجمال أو الاستجابة الجمالية والحكم الإدراكي .

«صحيح أن عملية التذوق الفني لا تزيل اللبس الكلي المخيم على النص ، وإنما نحس أنها تدفع بالعمل الفني – بخاصة في الدراسات الأدبية – إلى الأمام بالمنظور النسبي »[1].

[1] - خليفة بن عربي . إشكالية الذوق الفني عند محمود محمد شاكر . دار صفحات للدراسة والنشر . دمشق . سورية . 2011. ص 15 .

• **تعريف الذوق :** « نرى الناقد الفرنسي الشهير (دي بوس) (Dubos) في القرن السابع يعتبر الذوق الشخصي الذي أسماه " الحاسة السادسة " المقياس الوحيد للفن ، وقد بدأ الذوق يظهر جليا عندما ضعفت القواعد في القرن الثامن عشر ، وبدأت النظرية الجمالية في الظهور "1710- 1760م "، حيث لوحظ تطور متميز في علم الجمال . وظهرت آنذاك قضايا الذوق وعلاقته بالعقل ، ثم طبيعته العبقرية ، والعلاقة بين مطالب تلك العبقرية وبين سلطة القواعد ، كل هذا سار جنبا إلى جنب مع نمو التمييز بين الخبرة الجمالية وإدراك الحقيقة ، الخير والمنفعة ، شعور الإنسان تجاه الجمال وإحساسه بالعقل »[1].

الذوق يشكل الحاسة السادسة لدى دي بوس وهو المعيار الأساسي لقياس درجة الفن للموضوع المدروس ، وهذا الذوق الشخصي خاص بالذات فقط ولا يمكن لشخصين أن يتقاسما نفس الذوق .

أول الملكات التي ارتبطت بالذوق في بدايات ظهوره هي ملكة العقل ، لأن الذوق غالبا ما يصدر عن الذات العبقرية التي يغذيها العقل السليم ، ووفقا لهذه العلاقة صار النقاد أو الأدباء يلحون على تنمية هذه الملكة بغية الوصول إلى الخبرة الجمالية وإدراك الحقيقة لنصل في نهاية المطاف إلى التعدد

1 - نجوى صابر . الذوق الأدبي وتطوره عند النقاد العرب حتى نهاية القرن الخامس هجري . دار الوفاء للطباعة والنشر. الإسكندرية . مصر. ط1 . 2007 . ص 9 .

والاختلاف في النظرة الجمالية ، وهذا ما يعود بالفائدة على النص المدروس أو العمل الأدبي .

وهناك من يعرف الذوق الفني بأنه « حالة من حالات التوحد الوجداني يعيشها المتذوق مع العمل المبدع »[1].

- **أنواع الذوق الفني :**

بخلاف نظرة القديم نجد النقد الحديث اهتم كثيرا بالذوق ووضعه على طاولة النقد مع محاولة التقعيد له ، وعلى سبيل المثال نجد (طه حسين) يقسم الذوق إلى قسمين : « ذوق فني عام، وذوق فني خاص ، فالذوق العام هو الذي تشترك فيه أبناء الجيل الواحد في البيئة الواحدة والبلد الواحد، متأثرين بظروف مشتركة تطبعهم جميعا بطابع عام »[2].

هذا النوع من الذوق نجده عند أبناء المنطقة الواحدة أو المحيط الواحد فتجد معظم أذواقهم متقاربة إلى حد كبير سواء في المركب أو اللون المفضل لديهم أو حتى الأطعمة ، لأن المنطقة تلعب دور كبير في عملية التذوق ، وعلى سبيل المثال تجد سكان الجزائر تختلف أذواقهم عن سكان بسكرة ، ونلاحظ أيضا اختلاف كبير في هذه الملكة من بيئة إلى أخرى ، ومن حيز لآخر .

---

[1] - نجوى صابر . الذوق الأدبي وتطوره عند النقاد العرب . ص 10 .
[2] - خليفة بن عربي . إشكالية الذوق الفني عند محمود محمد شاكر . ص 27 .

الـذوق الخـاص هـو تلـك القـدرة التـي تتـيح للفـرد القـدرة علـى معالجـة النصـوص الأدبيـة بشـكل مختلـف عـن بقيـة الأفـراد حتـى وإن كـانوا مـن نفـس البيئـة نفسـها ، هـذه السـمات نجـدها متـوفر بشـكل لافـت عنـد الأدبـاء المتخصصـين بحيـث أنهم يصلون إلى ما لا يصل إليه غيرهم من الفئات .

« و يزيـد (أحمـد الشـايب) نوعـا ثالثـا لنـوعي طـه حسـين وهـو الـذوق الأعـم الـذي يشـترك فيـه النـاس بحكـم طبيعـتهم الإنسـانية التـي تحـب الجمـال وتتذوقـه طبيعيـا كـان أم صـناعيا ، وهـذا القـدر المشـترك بـين النفـوس البشـرية هـو الـذي يجمـع بينهـا أو بـين المتـأدبين منهـا فـي الإعجـاب بهـومير ، وشكسـبير ، والمعـري ، والمتنبي »[1].

يعتبـر الـذوق الأعـم مـرآة عاكسـة للطبيعـة الذوقيـة التـي تشـترك فيهـا الإنسـانية جمعـاء ، وبتـالي يـتمخض عـن هـذا الـذوق ذوق آخـر يجمـع بـين الأدبـاء والنقـاد مـن خـلال إعجـابهم بفطاحلـه الأدب وبأعمـالهم الخالـدة ، التـي لا ينكرهـا فـرد من الأفراد و هي صالحة لكل زمان و مكان .

وأهـم مـا يمكـن قولـه مـن خـلال تطرقنـا لموضـوع الصـورة ومـا يترتـب عنهـا مـن ذوق فنـي ، هـو أن الجمـال عنـد الـبعض يتعـدّى سـطحية المعنـى مـن دلالـة لفظـة (جميـل) لينطلـق إلـى كـل جديـد / مـدهش يحصـل عليـه المتلقـي مـن الـنص

[1] - خليفة بن عربي . الذوق الفني و تطوره عند النقاد العرب . ص 27 – 28 .

حتى لو كان قبيحا في معناه ، فالجمال الطبيعي – كما يقول كانط– هو الشيء الذي تتوافر له صفة الجمال ، أما الجمال الفني فهو تقديم الجميل للشيء : أي أن التعبير الفني قد يصب في أمر قبيح ، أو لا فائدة منه ، إنما هو جميل في تقديمه ، وفي طريقة عرضه ، ذلك بما يحويه من صور شعرية وإيحاءات وخيال وتعابير مؤثرة ... إلخ ، فقد يصف شخص الباطل ، أو القبح ، أو ما ليس جميلا ، فيجعل من وصفه ذلك نتفة أدبية راقية [1].

[1]– ينظر . خليفة بن عربي . إشكالية الذوق الفني عند محمود محمد شاكر . ص 14 .

الفصل الثاني :

الذوق الفني لابن الكتاني الأندلسي من خلال مختاراته الشعرية (التشبيه)

ينقسم كتاب " التشبيهات " لابن الكتاني الأندلسي إلى ثلاثة أجزاء ، يتضمن كل جزء تشبيهات مختلفة لأبرز الشّعراء الأندلسيين في مجالات متعددة ومتباينة . تتضمن هذه الأجزاء مقطعات شعرية لما يقارب تسعين شاعرا ، يصوغ فيها الكتاني مختاراته الشعرية تحت مواضيع متفرقة ومتنوعة يمكن تقسيمها إلى أربعة مواضيع هامة سيطرت على جل الأبيات الشعرية المذكورة في الكتاب ، و هي :

1-تشبيهات خاصة بالطبيعة الأندلسية وتتمثل في : تشبيهات في القمر ، والنجوم ، والسماء ، والخيل ، والإبل ، وانبلاج الصبح ، و المطر ، البرق و الرعد ، وتشبيهات في الورد والأزهار وما يدخل في أصنافهما بالإضافة إلى التشبيهات المتعلقة بوصف الرياض والحمام الأندلسي ، ثم يواصل ابن الكتاني حديثه وهذه المرة من زاوية تختلف عن سابقها كحديثه عن القصور والمباني الفاخرة والشرفات المتطاولة .

2-تشبيهات متعلقة بوصف الخمر والسقاة والندامى وتتمثل في : باب في الشراب وأوصاف الخمر ، باب في صفات الكؤوس والأقداح ، باب في السقاة والندامى ، باب في القيان والمغنيين .

3-تشبيهات تختص بوصف الجمال الإنساني وتتمثل في : باب في الشَّعر وسواده وشقرته ، باب في أصداغ القيان وعذر الغلمان ، ثم بعد ذلك يواصل حديثه عن التشبيهات المتعلقة بوصف النساء وتشبيه القدود ، و تشبيهات في الخصور والأرداف ، وباب في النهود وطيب الريق .

4-تشبيهات تنحو نحو الهجاء ، وهذا ما نلمحه في الجزء الثالث من الكتاب والذي يحتوي على عدة أبواب من أبرزها : باب في البخل ، باب في هجو النساء المغنيات ، باب في الخوان و الأكلة و الطفيليين .

5-تشبيهات متعلقة بالطرافة والسخرية والتهكم وتتمثل في بابي اللحى والنحول .

وسنقف في دراستنا لهذه الأجزاء عند أهم الأبواب وأدقها من أجل تتبع جماليات الصورة التشبيهية محاولين في ذلك رصد أهم الخصائص والمميزات الطاغية على تلك الصور لنصل في نهاية المطاف إلى مرحلة استقراء لتلك الخصائص والمميزات المتحصل عليها ، والتي من شأنها أن تنير لنا الطريق نحو معرفة و رصد الذوق الفني الذي يتمتع به ابن الكتاني الأندلسي .

1- موضوعات التشبيه :

• **الوصـف** : يعتبـر الوصـف مـن بـين الأغـراض الشـعرية القديمـة التـي بـرع فيهـا العديـد مـن الشـعراء أصـحاب القـرائح والأذهـان ، فـالعربي مـن المعـروف عنـه تلـك الحساسـية التـي يملكهـا تجـاه الجمـال ، وغالبـا مـا ينـدفع للتعبيـر عـن حسـه بالوصـف ويعرفـه النقـاد القـدامى علـى أنـه : « تصـوير الظـواهر الطبيعيـة بصـورة واضـحة ، وتلـوين الآثـار الإنسـانية بـألوان كاشـفة عـن الجمـال ، وتحليـل المشـاعر الإنسـانية تحليلا يصـل بـك إلـى الأعمـاق ، إلـى غيـر تلـك العناصـر التـي قـد يحتـاج وصـفها إلى ذوق فني »[1].

إن المتأمـل فـي التشـبيهات التـي أوردهـا ابـن الكتـاني يلاحـظ ذلـك الوصـف العميـق الـذي يـدل علـى تنـوع صـور الابتكـار و الإمتـاع و الغرابـة نحـو مـا نلقـى فـي وصـف الطبيعـة ومـا يجاورهـا مـن مظـاهر مختلفـة ، وفـي ذلـك يقـول الشـاعر عبـادة بـن مـاء المـاء الأنصـاري فـي وصـف السـماء[2] :

كأنَّ السّماءَ قبةٌ من زمرُّدٍ وفيهَا الدَرارِي من عميقٍ مَسامرُ

الشـاعر يبـدو أنـه يجمـع بـين شـيئين لا يبـدوان مـن أول وهلـة أنهمـا متقاربـان بـالنظر إلـى طبيعـة كـل منهمـا ، لكـن هـذا التباعـد يظهـر منعـدما مـن خـلال هـذه

1 - عبد العظيم علي قناوي . الوصف في الشعر العربي . الجزء الأول . ص 42 .
2 - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 19 .

الصورة التي يشبه فيها السماء بقبة من زمرد ، دلالة على اللمعان والضياء الذي يصاحب السماء في أطول فتراتها ، وتدخل هذه الصورة ضمن ما يسمى بتشبيه الأشياء في ظواهرها .

ونلمح في موضع آخر لا يقل جمالا عن سابقه تلك الصورة التي يقول فيها الشاعر(سعيد بن عمرون) ، الذي يعتبر أحد شعراء الدولة العامرية وهو يصف البدر [1]:

والبدرُ في جوّ السماء قد انطوى　　　طرفاهُ حتى عادَ مثلَ الزَورَقِ

فترَاهُ من تَحتِ المحــاقِ كأنمـا　　　غَرقَ الجميعُ وبعضهُ لم يغرَقِ.

يحاول الشاعر من خلال هذه الصورة الجمع بين طرفين متباعدين كل البعد من خلال تشبيه للهلال وهو على هيئته في السماء بذلك الزورق الذي يسير في البحر وتتخذ صورته شكل الهلال في الاستدارة ، ومن ذلك يقول ابن المعتز [2] :

وأنظر إليه كَزورقٍ من فضَة　　　قَد أثقلتهُ حُمولَةً من عنبَر.

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 19 .
[2] - عزالدين إسماعيل . الأدب وفنونه . دار الفكر العربي للنشر و التوزيع .القاهرة .ط 9 . 2004 .ص 80 .

يشبه ابن المعتز الهلال الذي يتجلى في ضمير الغائب بالزورق الذي يطفو على سطح الماء وهو محمل بالعنبر، وعليه فإنه قد « تمثلت لنا تلك الخاصة الحسية في الصورة ، فقد أراد الشاعر أن يصور الهلال فالتمس له من عالم الحس صورة الزورق الذي يسبح في الماء وقد حُمل بالعنبر. وإذا نحن مضينا في تحليل هذه الصورة وجدنا أن شكل الزورق يشبه تماما شكل الهلال ، وأن حجمه يساوي حجم الهلال من بعيد . وأن لونه (ولا غرابة في أن يكون لون الزورق فضيا يشبه لون الهلال) » [1].

ومن ذلك يتساوى الهلال والزورق في الحجم واللون والشكل ، وقد أعجب النقاد سابقا بهذا البيت وأصبح من الأبيات التي تتصف بالجمالية الفنية من زاوية الرسم بالصورة . ومن ثم نستطيع القول أنَّ شعر الأندلس يمتاز في جملته عن الشعر العربي بما فيه من المعاني المبتكرة الجميلة ، التي كان يعالجها الشعراء هناك من الوصف البديع ، والكلام الرشيق ، والذوق الفني[2].

كما تبرز صفة الغرابة والابتكار أكثر في شعر(الرمادي) وهو يصف زخات المطر[3] :

---

[1] - عز الدين إسماعيل .الأدب و فنونه . ص 80 .
[2] - أحمد ضيف . بلاغة العرب في الأندلس . دار المعارف للنشر والتوزيع . سوسة . تونس . ط2 . 1998 . ص 48 .
[3] - ابن الكتاني . التشبيهات. ص 35 .

كأنَّ سلُوك الغيثِ عندَ اتصَالهِ　　　بأسفلِ من أعلى سدى غيرُ ملحِمِ

سُلوك كذَوبِ الدُّرِ تُعنَى بفتْلها　　　ولكنْ فـــــــتلُها غَيــــرُ مبــــرمِ

الشـاعر يرسـم لوحــة فنيــة غايــة فــي الدقــة والروعــة وذلــك مــن خــلال تشـبيهه لزخـات المطـر فـي أثنـاء نزولهـا والمظهـر الجميـل الـذي يـتمخض عـن هـذه الصـورة بـاللآليء التـي تقـوم الريـاح بمزجهـا وفتلهـا ولكـن فتلهـا غيـر مبـرم ، فالشـاعر يظهـر مـن أول الصـورة وكأنــه سـريع القـول يـدخل فـي صـميم غرضـه دون تمهيـد مـع تميـزه بالموسـيقى الهادئــة القريبــة لأذن السـامع ؛ أي أنــه مطبــوع علــى القــول ويملــك المهـارة فـي الوصـف وهـو معـروف عنـد الأدبـاء والعلمـاء آنـذاك بذكائـه الـذي يبهـر كل مستمع لقوله[1].

ومــن الجوانــب التــي تلفـت النظـر فــي الكتــاب الأول هـو مـا يتعلـق بفكـرة التأكيـد علـى الوصـف ، مـن خـلال تلـك الأبيـات المنسـوبة للشـاعر (طـاهر بـن محمد) وهو يذكر جملة من النجوم[2]:

وليلٍ بتُّ أكلؤهُ بـــهِيــــمٍ　　　كأنَّ على مفارِقِه غرَابًــــا

كأنَّ سماؤَهُ بَحرٌ خَضـــــمٌّ　　　كَسَاهَ المَوْجُ ملتطمًا حبابـًا

---

[1] - ينظر . أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي . جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس . تحقيق بشار عواد معروف و محمد بشار عواد . دار المغرب الإسلامي للنشر والتوزيع . تونس . ط1 . 2008 . ص 547 .

[2] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 22

كأنَّ نُجومَه الزُّهر الـهوادِي وجوه أخضَلَتْ تبْغي الثَوابَـا

كـــــأنَّ المستسرةَ في ذراه كَمَائنُ غارَة رَقَبَتْ نهـابَــــا

كـأنَّ النجمَ معتَرِضًا وُشَـاةٌ تُسَارِقُ فيِه لحظًا مستَرَابَــا

يتبـين لنـا مـن خـلال هـذه الأبيـات الغنيـة بالوصـف براعـة الشـاعر فـي رسـم هـذه الصـورة الرائعـة والتـي مـن خلالهـا يبـدو أنـه مولـع بعناصـر الطبيعـة مـن سـماء وليـل ونجـوم إلـى درجـة التأكيـد فـي تشـبيهاته بـالأداة (كـأنَّ) التـي نجـدها فـي كـل بيـت شـعري ، فتـارة يشـبه الليـل بـالغراب فـي سـواده وتـارة أخـرى نجـده يشـبه السـماء بــالبحر فــي اتســاعه ، ثــم بعــد ذلــك يشــبه النجــوم بتلــك الوجــوه الباكيــة التــي تــود الثــواب والمغفــرة ، وهــذه الخاصــية مــن الشــعر عهــدناها فــي أكثــر مــن موضــع فــي الأدب الأندلســي ، ومــن روادهــا (ابــن دراج القســطلي) ، (ابــن عبــد ربــه) (يوســف بــن هــارون الرمــادي) فكــل هــؤلاء الشــعراء تميــزوا بالوصــف الــدقيق إبــان العصــر الأندلســي لكثــرة تــأثرهم بالطبيعــة الأندلســية ومــا يجاورهــا ، وتصــوير فعــل الظــواهر فــي الخــاطر، فــلا بــد مــن أن يكــون بلغــة أرقــى وبأســلوب أكثــر اتســاقا ، وأعظم انسجاما من سواه [1].

[1] - ينظر . عبد العظيم علي قناوي . الوصف في الشعر العربي . ص 42 .

ومـن الأبـواب الدالـة علـى الوصـف فـي كتـاب " التشـبيهات مـن أشـعار أهـل الأندلس " هو ما قدمه الشاعر (أبو بكر يحيا بن هذيل) في وصف الرياض[1]:

والرَوضُ قد أَلِفَ الندَى فكأنَّـه　　　عيْنٌ تَوَقفَ دَمعُها لـــــــرَقيب

مُتخَالِفُ الألْوَانِ يَجمَعُ شَمـلَهُ　　　رِيحانِ ريحُ صَبا وريحُ جنُوب

فكأنَّما الصفراءُ إذ تومي إلــى　　　البيضاءِ صَّبٌ جـانِحٌ لحَبيبِ

الشـاعر يشـبه هنـا الأرض التـي تتميـز بالخضـرة نظـرا لغناهـا بالأزهـار والنباتـات التـي ألفـت النـدى ، بتلـك العين التـي توقفـت عـن البكـاء عنـدما تـرى ذلـك الجمـال والأزهـار المختلفـة الألـوان والمتفرقـة التـي تجمعهـا ريـح الصـبا تـارة ، وريـح الجنوب تارة أخرى فبدت منها الأزهار الصفراء إزاء البيضاء .

ومـن التشـبيهات التـي لا تقـل ابتكـارا وجـده مـن سـابقها فـي ميـدان الوصـف هو ما نظمه (يحيا ابن هذيل) واصفا الحمام [2] :

غنَّى وفوقَ جنَايحِهِ سَقيطُ نـدَى　　　والغَيْمُ يَنجَزُ للحُوذانِ مـا وعـدَا

يَهفو بِه خُطوْطُ رَيْحَانٍ تُغازِلــه　　　في الــجوِّ ريحٌ فتَلْوي متنَهُ أوَدا

---

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 49 .
[2] - المصدر نفسه . ص 57 .

إذَا استقل ومسَ الأَرْضَ تَحسُبُهُ   مُصَلِيًا إنْ تَلَّقى سَجْدةً سَجـدا

يطغـى علـى هـذه الصـورة الفنيـة خاصـية الخيـال الـذي أورده الشـاعر فـي هذه الأبيات التي تنم عن الصنعة الفنية للشاعر ، فقد شبه الحمام عند نزوله إلـى الأسفل من أجل التقاط حبات القمح وتلك الصورة التي يكون عليها، بذلك الشخص الذي يقوم للصلاة و يخر للسجود بعد قيامه ، ويعد هذا النوع من التشبيه حسب عبد القاهر الجرجاني تشبيه الهيئة أو الصورة . ويتضح لنا أنَّ الشاعر يتميز بأنه : «تخلق فيه القوة المتخيلة شديدة جدا ، غالبة ، حتى أنها لا تستولي عليها الحواس ولا تعصيها المصورة ، وتكون النفس أيضا قوية لا يبطل التفاتها إلى العقل ، ويقبل العقل انصبابها إلى الحواس [1]».

وفـي مقطوعـة أخـرى تظهـر علـى إثرهـا سـمة الجده والابتكـار مـن خـلال المختارات الشعرية لابن الكتاني ، وهذا ما تجلى في الوصف الذي يطال القصور والبساتين والصهاريج في بلاد الأندلس ، وفي ذلك يقول الشاعر (أحمد بن درّاج) وهو يصف قصر السُرور بالزاهرة [2] :

دارُ السُرُور المُعتلِي شرُفَاتُهَا   فوقَ النُجوم الزُّهرِ فِي استِعلائِها

[1] - جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب . ص 53 .
[2]- ابن الكتاني . التشبيهات . ص 67 .

يعد وصف القصور بالأندلس من بين الأغراض الشعرية المبتكرة والتي أخذت شكلا واسعا في البيئة الأندلسية قديما ، ولقد أجمع النقاد على أن الشعر الأندلسي يتميز بصفات الإمتاع في بعض أغراضه ، ولقد قدم الشاعر وصفا من أعلى طراز من خلال هذا التشبيه الضمني الذي حاول فيه تشبيه قصر السرور بالزاهرة الذي يتميز بشرفاته المرتفعة كارتفاع السماء ، وكأنه بذلك يضاهي النجوم من حيث درجة علوها . ولقد أثبت الشاعر على إثر هذه الصور الفنية تأثره بالطبيعة الأندلسية ، حيث استمدوا منها أوصافهم واقتبسوا من مظاهرها صورهم التي أكدت قدرتهم على استجلاء عناصر الجمال ومحاكاتها شعرا .

ومن الصور الفنية التي تؤكد براعة الأندلسيين و تمكنهم من فن الوصف ، هو ما يتعلق بالفواكه وما يجاورها من مأكولات ، ومن ذلك قول الشاعر (علي بن الحسين) وهو يصف فاكهة التوت[1] :

أبدَى لَنَا التُوتُ أصنافًا منَ الحبشِ ... جُعدَ الشعورِ منَ الأطبَاقِ فِي فُرشِ

كــأنَّ أحــمرها من بينِ أسودِهَا ... بقيــةُ الشَفقِ البــادِي معَ الغَــبَشِ

---

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 85 .

يشبه الشاعر فاكهة التوت التي يتراوح لونها مابين الأسود والأحمر مع تلك الغضون التي تحيط بشكلها الخارجي ، برجال الحبشة الذين يتميزون بتلك التجاعيد الظاهرة على رؤوسهم . ثم بعد ذلك ينتقل الشاعر إلى الجزء الثاني من الصورة التي تبدو مفرداتها الجمالية أقرب إلى الحواس من سابقها ، وفيها يشبه الهيئة التي تكون عليها فاكهة التوت وهي ممزوجة الألوان بين الأحمر والأسود وموضوعة في الأطباق بالصورة التي يخالط فيها بياض الفجر و ضياءه آخر الليل وظلماته .

ولقد استخدم الشاعر في هذه الصورة الفنية أسلوب المبالغة من أجل تقريب الصورة أكثر إلى ذهن المتلقي الذي يتوق لفهم المعنى وإدراكه ، « لذلك قرن البلاغيون المبالغة بالإبانة في حديثهم عن أغراض التشبيه والاستعارة ، كما فعل الرّماني والعسكري وابن سنان . وقيل إنَّ الغاية من التمثيل هي المبالغة في الإيضاح والبيان حتى يصير الغائب كالحاضر ، والمتخيل كالمتحقق ، والمتوهم كالمتيقن »[1].

[1] - جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. ص 343 .

و عليه يعتبر أسلوب المبالغة من الأساليب التي المساعدة على فهم الصور الفنية وما يتعلق بها من قضايا مرتبطة بالمعنى ، لذلك استخدم الشعراء الأندلسيين هذا الأسلوب في التعبير عن قرائحهم وإبداعاتهم .

تعتبر الطبيعة من أهم المصادر جذبا للشاعر الأندلسي ، فأصبحت بذلك تحتل مكانا رفيعا بين دفاتر الشعر آنذاك ، متمثلة في وصف الرياض والحدائق والبساتين والأزهار ، بل هناك من الشعراء من أنطق الأزهار فتمايزت وتفاضلت . وفي ذلك يقول الشاعر(يوسف بن هارون الرمادي) وهو يفضل الورد على سائر الأنوار[1] :

للآسِ والسَوسنِ والياسمين **الغضيِّ والخيريِّ فضلٌ شديدْ**

سادتْ به الروضُ ومن بينهَا **وبين فضلِ الوَرْدِ بونٌ بعيدٌ**

هل لكَ من الآسِ سوى شمةٍ **تطرُحُهُ من بعدِها في الوقود**

والورد أن يذبلْ ففي مائهِ **نسيمُ ضمِّ الإلفِ بعد الصدودْ**

والسَّوءُ في السوسنِ عامٌ وفي **ساعةٍ سوء قد قد تُزارُ اللُحود**

والياسمينُ الياسُ في بدئهِ **فهو لمنْ يَطمعُ هَمٌّ عتيد**

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات. ص 51 .

أخلَّ بـالخيري خُلْقٌ كــــخُلق   اللصِّ يستيقظُ بعد الهُـــجود

فالـوردُ مولى الــروضِ لكنَّهُ   في قدرهِ عبدٌ لـــوردِ الخُدودْ

يفضــل الشــعراء الأندلســيين غالبــا الــورد علــى بقيــة الأزهــار لأنــه يــدخل الطمأنينــة والســكينة علــى الــنفس فضــلا عــن عطــره الفــواح الــذي يُشــم علــى بعــد مســافات ، وتلــك الصــورة تــذكرنا بنــا نظمــه الشــاعر(محمــد بــن شــخيص) في الخصومة التي وقعت بين الورد والآس ويفاضل بينهما فيقول [1] :

أراكَ الوَردِ بالآسِ انتقاصــــاً   فقالَ له : نقيصتُك المـلالُ

فقال لــلورد : لسـتُ أزورُ إلا   على شوق كما زَارَ الخَيالُ

وأنتَ تُديمُ تثْقيلا طويــــــــلا   تدُومُ بهِ كمَا رَسَت الجِبال

فتسأمُك العُيونُ لــذاك بغَضَـا   وترقُبُني كما رُقب الهلال

يتضــح لنــا مــن خــلال النمــاذج التشــبيهية الســابقة أنَّ الشــاعر يريــد أن يظهــر الحقيقــة المنطويــة فــي النفــوس حــول أســرار الطبيعــة الأندلســية وحقــائق الموجــودات ، فالشــاعر البليــغ هــو الــذي يســتطيع التوغــل فــي النفــوس ويســتولي عليهــا بجمــال الافتتــان ، وينعشــها بأســلوبه بيانــه ، ويهــذبها بمعانيــه ومــا تحملــه مــن إصــرار ،

[1] - ابن سعيد . المغرب في حلى المغرب . تحقيق شوقي ضيف . دار المعارف . الجزء الأول . ط4 . ص 108 .

ثـم إنَّ المبـدع الفنـي يسـتطيع إدراك مـا لا يدركـه غيـره ، لأنـه قـوي الملاحظـة والإدراك والتأمـل ، سـريع الخـاطر ، تختـرق نفسـه الحجـب فيـرى مـا لا يـراه غيـره ، وبـذلك يمكـن القـول أنَّ الشـاعر الأندلسـي قـد يكـون فـي بعـض المواضـع مسـاويا للفلاسفة والحكماء .

إنَّ المتأمـل لـلأدب الأندلسـي يلحـظ تلـك البراعـة التـي تحملهـا هـذه المختـارات الشـعرية والمتمثلـة فـي التشـبيهات ، والتـي تجعـل القـارئ فـي حيـرة مـن أمـره مـن خـلال الصـعوبة التـي تواجهـه فـي تحصـيل المعـاني وإدراك المفـاهيم ، إلا أنـه فـي الأخيـر يـدرك أنَّ السـبب الرئيسـي لهـذا التعـذر يكمـن فـي الموضـوعات الجديـدة التـي طرقهـا الأندلسـيين مـن مثـل ظـاهرة اسـتنطاق الزهـر والمفاضـلة بين الزهور .

ومـن بـين المواضـيع التـي طرقهـا الشـعراء فـي هـذا المؤلـف ظـاهرة وصـف الخمـر ، حيـث تعتبـر هـذه ظـاهرة فـي الشـعر العربـي مـن أقـدم الأغـراض التـي طرقهـا الشـعراء منـذ زمـن بعيـد ، ويعـد أبـو نـواس مـن رواد هـذا الفـن مـن خـلال خمرياتـه المشـهورة التـي يقـول عنهـا أبـرز النقـاد أنهـا لـم يتحـدث فيهـا شـاعر مثلمـا فعـل أبـي نـواس . حتـى أن بعـض الدارسـين يـرى أنَّ أبـو نـواس أنشـأ غرضـا خاصـا بـه و لا يشـبهه أحـد فـي خمرتـه التـي تعتبـر مـن نـوع خـاص . وكـان يجـاهر

بها وبشربها ظنا منه بأنَّ الحياة قصيرة المدى وهي كثيرة الهموم والمتاعب ولا يوجد ما هو أحسن من شرب الخمر من أجل تناسي ذلك كله ، وعدم تضييع الحياة في الحزن والتفكير فهي المسؤولة عن طرد الهموم والمشاق وجلب السعادة والمرح .

ونظرا لشيوع الخمرة في العصر الأموي وورودها على ألسنة الشعراء كثيرا إلى درجة التفنن في الوصف ، فقد كشفت لي التشبيهات التي أوردها ابن الكتاني على ميل بعض الشعراء الأندلسيين إلى وصف الخمرة والثناء عليها وعلى حاملها وشاربها على السواء ، وذكر مجالسها وتشبيههم لها بالدواء الذي يقضي على جميع الأمراض ويشفي من جميع الأسقام .

يقول الشاعر (أحمد بن عبد ربه) في تشبيهه للخمرة مع الكؤوس التي ترافقها في أثناء الدخول بها إلى المجالس، بتلك الشمس التي ارتدت ثيابا من البدر فزادتها جمالا وبهاءا قبل أن يصفها بأنها ملمعة بالطيب مفعمة بالقتير؛ الذي هو ذلك الشيب الذي يعلو الخمرة ويستخدمه الشعراء من أجل الكناية عما يعلوها من زبد [1]:

ورداعةٍ بأنفاسِ العبيـــــرِ   مقنَّعَةِ المفارقِ بالقتيـــــرِ

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 88 .

جلتهَا الكاسُ فاطَّلعت علينَا   طلُوعَ البِكرِ في حُللِ الحـرَيرِ

كأنَّ كؤوسَها يَحملنَّ منــها   شُموسًا ألبستْ خِلَعَ البـُدورِ

كما نجد في موضع آخر من الكتاب تشبيههم للخمرة بالبرق وهذا دليل على تنوع الصور الفنية تلك التي تتعلق بالوصف ، وهذا ما تجلى في قول الشاعر (محمد بن إسماعيل النحوي)[1]:

فتبسَّمتْ منهُ إليكَ مُدامةٌ   كالبرقِ لاحَ بظلمةٍ فأنــارهَا

وكأنّها لما زَهَت بجبابـِهَا   خُودٌ تَريكَ عُقُودَها وسِـوارَها

الشاعر يعقد شبها بين شيئين متباعدين بالنظر إلى طبيعة كل واحد منهما من خلال تشبيهه للخمرة بالبرق الذي يلوح بأي ظلمة فينيرها ، وتتميز هذه الصورة التشبيهية بغلبة طابع المبالغة عليها والابتعاد عن مجال الحقيقة كل البعد . بينما الصورة الثانية تتمثل في تشبيه الخمرة بتلك الفتاة الحسناء التي تبدي زينتها بغية افتتان غيرها ، وعليه فإنَّ الصورة الثانية فإنَّها تبدو أقرب إلى الحواس من الناحية الجمالية بخلاف الصورة الأولى التي طغى عليها طابع المبالغة بصفة كبيرة .

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات. ص 89 .

كما برع الأندلسيين أيضا في تشبيههم للخمرة وهي تتوهج وتلمع في الكؤوس بنجوم الليل التي تدور في الفلك ، وفي هذا الصدد يقول الشاعر (أحمد بن خطاب النحوي)[1]:

كأسٌ تُجلِّي الهموم صورتُها   شاربهَا في النَديِّ كالملكِ

كأنّها و الأكفُّ تَحملُها   نُجومُ ليْلٍ تَدورُ في الفلكِ

يشبه (ابن هذيل) الخمر باللآليء المذوبة من شدة لمعانها وضيائها بعد عصرها خصوصا ، لأنه من المتعارف عليه بين الشعراء هو ذلك المظهر الجميل الذي تأخذه الخمرة في اللحظات الأولى من عصرها حين يصبح لونها أبيض[2]:

لعبتْ بأيامِ الزمَانِ وطاولَتْ   مُددَ اللَيالي فهي جرمٌ صافِ

فإذا استقرَّت في الكؤوسِ حسبتَها   منها ، لرِّقةِ جُرمها المتكافي

عصُرت كأنَّ من اللآلىء ذوِّبت   فشرابُها من كلِّ ضُرٍّ شافِ

بقد أوهمت حَكمَ الحُدود فظنها   ماءً، وقدْ حَكَمتْ بحُكمٍ خافِ

[1] - ابن الكتاني .التشبيهات . ص 90 .
[2] - المصدر نفسه. ص 97 .

وفيما يتعلق بالتشبيهات التي تطال صفات الكؤوس والأقداح ، قول الشاعر(أحمد بن عبد ربه) [1] :

تَرى الأباريقَ والأكوَاسَ ماثلَةً   وكلّ طاسٍ من الإبريزُ مُمتَثِلُ

كأنَّها أنجمٌ يجري بها فلكٌ   للراحِ لا أسَدٌ فيها ولا حَمَلُ

الشاعر من خلال هذين البيتين يأتي بتشبيه غريب نوعا ما إلى درجة أنه وصف أكواس الخمر التي تقف ماثلة بجانب بعضها البعض قبل أن توزع على أصحابها ، بأنها من الذهب الخالص الباهض الثمن ، نظرا للقيمة الكبير التي تحملها الخمرة في نفس الشاعر ، حيث يشبه هذه الأكواس بالنجوم التي تجري في الفلك لا أسد فيها ولا جمل .

لعل أهم ما نستطيع قوله من خلال تعرضنا إلى الأبيات الشعرية التي تتعلق بوصف الخمر لدى الشعراء الأندلسيين بالرغم من قلتها، هو تلك التشبيهات الغريبة التي يعتمدها الشاعر الأندلسي والتي تعتبر دليل واضح على دقته في التصوير وتمكنه من ألفاظ اللغة إلى درجة أنه يجمع بين شيئين يتمظهران في أول الأمر أنهما متباعدان ومن الصعب اشتراكهما في وجه من الأوجه ، لكن القارئ للشعر الأندلسي وبالتحديد في ميدان الوصف حتما

---

[1] - ابن الكتاني .التشبيهات . ص 98 .

سيصرح بأنه من السهولة جدا الجمع بين شيئين متباعدين في أثناء التصوير الفني خاصة عندما يتعلق الأمر بالشعر الأندلسي .

• **الغــزل :** يعتبـر الغـزل مـن أشـهر الأغـراض الشـعرية التـي تناولهـا الشـعراء قـديما وحـديثا ، و لقـد ازدهـر إبـان العصـر الأمـوي بالأنـدلس بشـكل لافـت ومثيـر نظـرا لتــوفر العوامــل المســاعدة علــى تطــور هــذا النــوع مــن الفــن كالطبيعــة الســاحرة والأزهـار الفواحــة والحــدائق الواســعة والبســاتين المخضوضــرة ، بالإضــافة إلــى تلــك القصــور الفــاخرة التــي شــيدها الأندلســيون وأصــبحت بــذلك قبلــة للمتغــزلين لإلقــاء مــا فــي خــواطرهم وإبــداء مــا فــي أنفســهم ، وهــذا مــا لمحنــاه فــي كتــاب " التشـبيهات " لِابـن الكتـاني الأندلسـي الـذي يتنـاول فـي جـزء منـه تلـك الأبيـات الغزليـة التـي تحمـل الصـنعة والجمـال الفنـي ، بالإضـافة إلـى جزالـة الألفـاظ وحسـن التعبير ودقة الملاحظة .

يقـول الشـاعر(أحمـد بـن عبـد ربـه) مشـبها محبوبتـه بالبـدر بعـد أن وصـفها بالتريكة والدمية والظبية [1]:

تريكَةُ أُدحــيٍّ ودُرة غائصِ   ودُميةُ محرابٍ وظبيةُ قانـــــــصِ

هو البدرُ إلا أنني كلَّ ليلَةٍ   أرى البدرَ منقوصًا وليس بناقِـصِ

يتضـح مـن خـلال هـذا البيـت اسـتخدام الشـاعر لظـاهرة الإيحـاء وهـذا دليـل واضـح علـى أنَّ هـذه المـرأة ليسـت بعاديـة لـذلك شـبهها بالبـدر ، فالشـاعر يصـفها

[1]- ابن الكتاني . التشبيهات . ص 122 .

بأجمل الصفات وأعذبها وهذا ما أدى به إلى استخدام فن المبالغة من أجل الوصول إلى الثناء الكلي للمدوح .

وفي جانب آخر من التشبيهات التي تدخل ضمن غرض الغزل في كتاب " التشبيهات " هو تشبيه الشاعر(يوسف بن هارون الرمادي) لشَّعر محبوبته الذي يتميز بسواده الشديد بالليل وظلمته ، ويقول[1]:

وليلةِ لمةٍ تبقى العيونُ الرَوامقُ   من دُجـــــاهَا في ضلالِ

وكنتُ عن اللـــــيالي غير راضٍ   بحالٍ إذ جَنَتْ تغيير حالِي

فلــــمَا أن رأيتُ الليل شِبْـــهًا   للمّتهِ رضيتُ عنْ اللَـــالي

يخالف الشاعر هنا الطرق التقليدية المعروف عليها في التغزل بالنساء ، فالشاعر القديم كان يرى في الليل الصورة الأمثل لتشبيه شَّعر المرأة في سواده ، لكن يوسف الرمادي يتبع منهجا جديدا في التغزل بممدوحه، ويقول بأنه غير راضِ عن الليل ولا يعترف به ولكن تغيرت نظرته عندما رأى شبيه في الخلق الإنساني وبتالي أصبح راضيا عن الليالي .

---

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 124 .

أما ما يتصل بالتشبيهات التي تخص مشي النساء وتشبيه القدود نجد قول (عبد الملك بن جهور) الذي يصف محبوبته بأحسن عبارات الجمال والمدح ويشبهها بالسوسن المزهر من شدة جمالِ مظهرها وشكلها الخارجي حيث أصبحت تبدو كالروض في الحسن من كثرة انغماره بالندى والطل فزادها من الحسن حسنا آخر، ويقول[1]:

أقبَلْتِ في ثَوبٍ عليْكِ بَنَفسَـــجي كالسَّوسن الأرجِ النَقِيِّ الأبهجِ

كالرّوضِ حَسنا قدْ تشـرّبَ ماءه فبدا بهِ من كلّ حسنٍ مُبهجِ

وفي موضع آخر من الكتاب نلمحُ بعض التشبيهات التي تتعلق بباب التغزل بالغلمان من خلال الحديث عن إشراق الوجه وتشبيه الخدود والخيلان ، حيث شبه الشاعر شدة الحمرة التي يحتويها خد الفتى بالياقوت من كثرة نظر الناس إليه ، حتى أصبح الخجل لما يفارق وجناته كأنما يعود إلى خديه ، ويقول في ذلك الشاعر(يوسف بن هارون الرمادي) في الخدود[2]:

وكأنَّ درَّ الخدِّ يكسي حمرةَ اليَاقوت من نظر العُيُون إليه

وكأنَّ خجْلَتَهُ إذا ما فارقت وجـــــناتِهِ عادتْ إلى خدَيْهِ

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 142 .
[2] - المصدر نفسه . ص 131 .

ومن التشبيهات التي تؤكد إجادة الأندلسيين في غرض التغزل بالغلمان ومخالفة القدماء في طرقة تركيب الصورة قول (مروان بن عبد الرحمان) في أصداغ القيان وعذر الغلمان أين تبرز الغرابة في التشبيه بشكل لافت[1] :

ترنُو لواحظَنَـــا لتقطف وردَه فَتَدُبُّ عقربُهُ فتلسع من رنَا

فكـأنَّ عقرَبَ صُدغِهِ في خَدِّهِ دَّبت لتمنَعَ وردَهُ أن يجْتَنى

وتتضح هذه الخاصية أيضا في قول الشاعر(يوسف بن هارون الرمادي) عندما يشبه الخد بالطور الآفل[2]:

مُعجَمُ الحُسنِ بخَالين : على ثغرهِ الأصغَرُ والخدِّ الأجـــلِّ

فالـــذي في الخدِّ طورا آفلٌ تحتَ صُدغٍ فوقَ صبح قد رَحلْ

وتبرز صفة الغرابة والابتكار أكثر في قول (الرمادي) الذي يشبه الصدغ في حسنه وجماله بالذهب الخالص ، ويقول :

غُررُ اللُـــجينِ وفوقــها أصداغُ عقيانٍ لواعِبْ

تـــوَّجنَ منهُ وأرستَـــــــْ منهُ إلى الكثبِ الذوائبُ

---

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات. ص 128 - 129 .

[2] - المصدر نفسه . ص 129 .

أصداغهنَّ مع الذوائبِ   كالأساود والعقاربِ

ومـن التشـبيهات التـي أوردهـا الرمـادي أيضـا مـن بـاب التغـزل بالنسـاء ، هـو وصـفه لأحـد النسـاء الجمـيلات وهـي منطويـة علـى نفسـها تجلـس تفكـر وتشـكو همـوم الـدنيا ومتاعبهـا ، واضـعة بـذلك كفهـا الـذي يتميـز بالبيـاض الشـديد علـى خـدها الشـديد الحمـرة ، حيـث أثـر فيـه هـذا المظهـر كـل التـأثير حتـى تشـكلت لـه تلـك الصـورة التـي قـال فيهـا : وكأنهـا بـدت تحجـب ورد الخـدّ بالسوسـن الـذي تأخـذ أطرافـه شـكل الفضـة وأضـافره شـكل الـذهب الخـالص ، وكأنّهـا عنـدما حاولـت أن تخفي جمال وجهها أبانت جمالا آخر يفوقه وزنا [1] :

قدْ وَضعَ الكَفُّ على خدّهِ   مفكِرًا من غبر أشجـانِ

كأنـّما يستُرُ عن ناظري   بنَانهُ وردًا بسوسَـانِ

كأنـَّما أطـرافهُ فِضَّةٌ   صيغَ لَها أظفارُ عقيـَانِ

ومـن الصـور التـي تقـوم علـى فكـرة الغـوص فـي المعـاني تلـك التـي أوردهـا الرمادي أيضا في قوله [2] :

وتنَّعمتُ في خُدودِ صبـَاحِ   زائداتٍ على بيَاضِ الصبـاحِ

---

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 133 .

[2] - المصدر نفسه . ص 131 .

صارَ فيها الخيلانُ في الـوردِ   شبْهًا للغوالي في أحمرِ التُفاحِ

ومن خلال النماذج السابقة يتبين لنا أنَّ الشعر الأندلسي وصل إلى مرحلة التفنن من خلال استخدامه لغرض الغزل ، ذلك لأنَّ معظم الأبيات الشعرية التي عرضها ابن الكتاني في هذا الموضوع تنقسم إلى قسمين : غزل بالمذكر ، وغزل بالمؤنث .

• **الهجاء :** « غرض من أغراض الشعر ، يتناول فيه الشاعر بالذّم والتشهير عيوب خصمه المعنوية والجسمية . وهو نقيض المدح ، لأن المدح يذكر الفضائل ، والهجاء يذكر الرذائل » [1].

إنَّ المتأمـل لكتـاب " التشـبيهات " يلحـظ نـدرة هـذا الغـرض بشـكل كبيـر ، علـى عكـس الأغـراض الأخـرى التـي حظيـت بعـدد كبيـر مـن الأشـعار والأبـواب ، ويتمثـل الهجـاء فـي بـابي البخـل وهجـو النسـاء المغنيـات . ويرجـع السـبب فـي نـدرة هـذا الغـرض إبـان العصـر الأمـوي ربمـا إلـى تغيـر التوجـه الفكـري والأدبـي الـذي شـهده الشـعب الأندلسـي ، ذلـك بسـبب النهضـة الفكريـة والثقافيـة التـي شـهدتها الأنـدلس وأثـرت بـذلك كـل الـأثير علـى مختلـف طبقـات المجتمـع وشـرائحه ، لأن معظـم الشـعراء أولـوا اهتمـامهم إلـى الجانـب الثقـافي ممـا قلـل لـديهم تلـك الخصـومات التي كانت معروفة من قبل .

ومـن المعـاني التـي تعرضـنا لهـا فـي غـرض الهجـاء ، هـو قـول الشـاعر (محمـد بـن شـخيص) فـي حـديث عـن البخـل ، ويصـف هـذه الظـاهرة بأنهـا مـن

[1] - غازي طليمات و عرفان الأشقر . تاريخ الأدب العربي . دار الإرشاد للنشر والتوزيع . دمشق . ط1 . 1992 . ص 179 .

طبـاع الحميـر مـن شـدة القصـوة التـي وجـدها فـي أثنـاء إنشـاده للشـعر ، حتـى أنَّ الناس أصبحوا يتهربون من أجل تفادي العطاء [1]:

قستُ بالشعرِ معشرًا فإذا هم — صورُ الإنسِ في طباعِ الحمـــيرِ

كلَّمـــــا جئتُهم لأنشِدَ شعرِي — طمعًا من نوالِـــــــهم باليســيرِ

فكـــأنِّي وضعتُ فلكَةَ بوقٍ — في فــمي أو ضغطتُ أنبُوب كيرٍ

ومن التشبيهات التي تؤكد تفشي ظاهرة البخل في العصر الأموي قول الشاعر (يوسف بن هارون) [2]:

فليس كمن إن تسَلهُم عطاء — يمدوا أكفّهم للعطاء

إذا جئتهم بالمديـــــحِ انزوَوْا — كأنَّكَ تَأتيهم بالهجاءِ

يقول وفي باب هجو النساء المغنيات فإننا وجدنا جل التشبيهات تدخل في ما يسمى بالهجاء اللاذع ، وهذا ما أكده (الغزال) في قوله [3] :

جرداءُ صلعاءُ لم يبقِي الزمان لها — إلا لسانًا ملِحًا بالملامـــــــــاتِ

لطمتُها لطمَةً طارت عمـــــامتُها — عن صلعةٍ ليسَ فيهَا خمسُ شعراتِ

---

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 253 ، 254 .
[2] - المصدر نفسه . ص 253 .
[3] - المصدر نفسه . ص 257 .

كأنّـــها بيضةُ الشاري إذا برقت بالمأزقِ الضنكِ بين المشرفيـــاتِ

لهَا حروفُ نُواتٍ في جَوانِبـــــا كقِسمةِ الأرضِ حيزت بالتخومـات

وكــــــاهلٌ كسِنَامِ العيسِ جرَّدهُ طولُ السَّفارِ وإلحاحُ القُتـــــوَداتِ

الشـاعر يصـف هـذه المـرأة بـأبخص الصـفات ، مثـل : جـرداء ، صـلعاء ، فهـو يقلـل مـن شـأنها إلـى درجـة قولـه أنـه عنـدما لطمهـا وطـارت بـذلك عمامتهـا لـم يجـد فـوق رأسـها سـوى خمـس شـعراتٍ ، ودلالـة التـي تحملهـا هـذه الأبيـات يـدخل فيهـا جانـب مـن السـخرية الممزوجـة بالهجـاء ، حيـث أنَّ أغلـب الأغـراض التـي بـرزت فـي العصـر الأمـوي نلمـس فيهـا نـوع مـن السـخرية والـتهكم وإن كـان هـذا الجانب أقل درجة من الغرض الغالب على المقطوعات الشعرية .

تـدخل هـذه الصـورة ضـمن مـا يسـمى بتشـبيه المحسـوس بالمحسـوس ، لأن الغـرض الـذي يريـده الشـاعر مـن خـلال هـذه الصـورة هـو أن يبـين مـدى قـبح الصـفات الجسـمانية لهـذه المـرأة لـذلك كـان مصـدر المشـبه بـه مـن عـالم الحـس ، كمـا أنـه لا يصـرح لا يصـرح بالمشـبه – الـذي هـو المـرأة – وإنمـا يكتفـي بـالتلميح إليهـا فقـط ، ويعتبـر هـذا الجانـب مـن الجوانـب الشـائعة فـي تركيـب الصـورة عنـد (يحيـا الغـزال) ، واسـتخدم بـذلك الاسـتعارة والتشـبيه فأحسـن الاختيـار فـإن دل

هذا على شيء فإنَّما يدل على دقة الشاعر في اختيار الألفاظ المناسبة لتركيب صوره .

‹‹ ومن هنا جاء هذا الاتجاه محافظا من جانب ومجددا من جانب ، فهو محافظ في منهج القصيدة ولغتها وموسيقاها ، ثم في روحها وأخلاقياتها إلى حد كبير . وهو مجدد في معاني الشعر وصوره ، ثم في أسلوبه وجمالياته إلى درجة بالغة ››[1] .

[1] - أحمد هيكل . الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . ص 195 .

• **الطرافة والتندر** : لقد أظهر الأندلسيون تمكنهم من هذا الغرض الشعري الذي تحمل ملامحه كل صفات التجديد والتغيير على مستوى الشكل والمضمون ، ومن ثم فقد لمحت بعض التشبيهات التي تعالج هذا الموضوع بالرغم من قلتها، ومن بينها ما قاله (عبيديس الكاتب) في معرض حديثه عن اللحى متهكما[1] :

يا من عليهِ للعُلا تاجُ　　　إني إلى اللِحيةِ محتاجُ

وعندكم في وشقةٍ　　　يَحملُها المائقُ حجَّاجُ

ويقول في موضع آخر[2]:

للثَغرِ في جانبهَا مسرح　　　فيه من الأنعامِ أزواج

ومن صنُوفِ الطيرِ في　　　بعضه بطٌّ وسمّانٌ ودرّاج

يسيلُ من شاربِه فوقَها　　　سلحٌ غزيرُ القطرِ ثِجَّاج

للبقِّ في عثنونِهِ مكمَنٌ　　　ومن دبيب القمل أفواجُ

إذا مشى تُبصِرُ أفواجَها　　　كأنَّها في البحرِ أفواجُ

يعقدُها في شعر وجعائهِ　　　فهو إذا ما شاء صناج

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 261 .
[2] - المصدر نفسه . ص 262 .

يظهر الشاعر من خلال هذه الأبيات روح الفكاهة والمداعبة الممزوجة بالسخرية والتهكم ، وقال في صددها صاحب النفح : « ولأهل الأندلس دعابة وحلاوة في محاوراتهم وأجوبة بديهية مسكتة والظرف فيهم والأدب كالغريزة »[1].

وفي موضع آخر من الكتاب نلمح قول (مؤمن بن سعيد) متهكما في حديثه عن اللحية مشبها إياها بالعلم الذي يحمله العود ، ويصبح بذلك للريح ملعبة ، في قوله[2]:

قد صار عثنونُهُ للرِيحِ ملعَبَةً كأنَهُ علمٌ في عودِ بيطار

ويقول الشاعر(أحمد بن نعيم) في ذات الاتجاه[3] :

كأنَّ لحيته معروشةٌ غَرست في عارضي قردةٍ من ذيل خنزير

و قول (الرشاش) في تهكمه بأحد رجال الدولة العامرية حيث شبهه بالقرد نتيجة لطول لحيته ِ[4]:

لحيةُ سقلابٍ أبي هاشـم أشبهُ شيء بشكير أستهِ

و وجههُ يحكِي لنَا القِرْدَ صورتِهِ قبحًا وفي نعتِـهِ

---

[1] - إحسان عباس . تاريخ الأدب الأندلسي . عصر سيادة قرطبة . دار الثقافة للنشر والتوزيع . بيروت . لبنان . ط2 . 1969 . ص 118 .
[2] - ابن الكتاني . الشبيهات . ص 262 .
[3] - المصدر نفسه . ص 263 .
[4] - المصدر نفسه . ص 264 .

ولا يوجد ما هو أكثر تهكما من الأبيات التي قالها (مؤمن بن سعيد) وهو يشبه نفسه بالتيس الذي أرهقه طول العمر [1] :

فها أنا ذا جئت أحملُ لِحيةً إليكَ لَها خطْبٌ وشأنٌ من الشأن

كأنّي تيسٌ قد تطاول عمرُهُ وأفنى قُنونًا من تيوسٍ وجِدْيَانِ

ومن بين النوادر التي تميز بها(مؤمن بن سعيد) هي تلك التي تتعلق بأحد القضاة ، ومن ذلك يقول إحسان عباس : « ومن نوادر مؤمن بن سعيد مع قاضٍ آخر يلقب (قبعة) أنَّ رجلا أتى إلى مؤمن وسأله أن يكتب له اسمه في رقعة . فسأله عن اسمه فقال (عقبة) ، فاستولى حب النادرة على مؤمن وكتب : (قبعة) وأعطاها للرجل ، فقدمها هذا إلى القاضي ، فجعل القاضي يقدم غيرها من الرقاع ويؤخرها ، فلما خفَّ الناس نادى : من عقبة ؟ فجاءه الرجل فقال له : من كتب اسمك ؟ فوصف له صفة مؤمن فقال له : لا تقعد إليه ثانية [2]» .

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 263 .
[2] - إحسان عباس . تاريخ الأدب الأندلسي .ص 119 .

ومن الأبيات التي تتعلق بصفات الطرافة والتهكم قول الشاعر(أحمد بن عبد ربه) وهو يصف التوت من جهة لونه ببنات الروم والحبشة[1]:

أهديتُ بيضًا وسودًا في تَلَونهمَا كأنَّها من بناتِ الرُومِ والحبَشِ

عذراءُ تُؤكلُ أحيـــــانًا وتُشرَبُ أحيانا فتَعصمُ من جُوعِ ومن عَطَشِ

يتبين من الأمثلة والشواهد السابقة أنَّ الشاعر الأندلسي أظهر تمكنه في طريقة رسم ملامح جديدة في التعبير عن ما يجول في خاطره ، في ظل استخدامه للتشبيهات التي تخالف توقع القارئ ، والتي تعبر عن مدى مهارته وحدة ذكاءه الذي جعله يتميز عن غيره من الشعراء بصفات وخصائص متنوعة ومختلفة ، بالإضافة إلى تجديده في الكثير من الموضوعات ، ولكن هذا لا ينفي تقليد الشعراء الأندلسيين لفطاحلة الشعر القديم أمثال أبو نواس في الخمريات وامرئ القيس في الوصف .

ومن خلال دراستي لجزء كبير من الأبيات الشعرية التي جمعها(ابن الكتاني الأندلسي) لمحت تلك الغرابة والخيال الواسع الذي يتميز به معظم الشعراء ، كما أنَّ طريقة استخدام الصورة عند الشاعر الأندلسي تختلف تماما

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 84 .

عن بقية الشعراء في وقت سابق ، وهذا ما تجلى في البنية التركيبية التي تكونت على إثرها الصور الفنية .

نستطيع أن نقدم حصيلة دراستنا لتلك الأبيات الشعرية في كتاب "التشبيهات " على شكل سمات وخصائص أكسبت الشعر الأندلسي التميز والإنفراد والاستقلالية بحيث لا نعد الأندلسيين مقلدين للمشارقة تخفى ورائه شخصيتهم، وقد تمثلت هذه السمات في :

1- **التجديد في الموضوعات** : ويقصد به طرق بعض المواضيع الجديدة التي لم يسبق إليها ، فبالإضافة إلى تلك المقطوعة الشعرية التي عالج فيها الشاعر (أبا المخشى) تجربة فقدان البصر لمحت بعض المواضيع الجديدة التي أكسبت الشاعر الأندلسي التميز والتفرد ومن ذلك وصفهم للطبيعة ، « بحيث كان الارتياح للطبيعة ، من الموضوعات الكبرى التي سيطرت على الشعر في هذه الفترة ، ومن الخطأ أن ننظر فحسب في هذا الموضوع إلى شعر المشهورين فيه كابن خفاجة من بعد ، فإن شيوعه في الفترة الأموية ، يكاد يجعله أقرب أنواع الشعر إلى نفوس الأندلسيين ، وما عرضه كتاب الحدائق لابن فرج ، وكتاب البديع في فصل الربيع لحبيب ، والارتياح بوصف الراح لابن مسلمة ،

وكتاب التشبيهات لابن الكتاني ، وكتاب الفرائد و... ، فهي حافلة بصور الطبيعة في الشعر الأندلسي [1]» .

ومن مظاهر ولعهم بالطبيعة هو وصفهم لها في مقدمات قصائدهم ، بحيث أننا لمحنا صفة التجديد من باب المفاضلة بين الزهور ، وذلك في قول الرمادي[2] :

للآسِ والسَوسَانِ واليـاسميـ ن الغض والحيريَّ فضـلٌ شديدٌ

سادَت بهِ الأرضُ ومن بينِها وبين فضلِ الوردِ بون بعيدٌ

هل لكَ من الآسِ سوى شمة تطرُحه من بعدِها في الوقُود

وبعد أن يعدد الشاعر مساوئ كل زهر يختتم بالفوزِ للوردِ قائلا[3] :

فالوردُ مولى الرَوضِ لكنَهُ في قَدرِه عبدٌ لوردِ الخُدود

وعليه يعتبر هذا النموذج الشعري أصدق شاهد يمكن إدراجه كدليل على التجديد الموضوعي لدى الأندلسيين .

2-**الجودة الفنية :** «ونعني بذلك محاولة الأداء بطريقة أجود مما ألف السابقون . وللأندلسيين وسائل مختلفة لهذا التجويد ، بعضها بتعلق بالمضمون ،وبعضها

[1] - إحسان عباس . تاريخ الأدب الأندلسي . ص 106 ، 107 .
[2] - ابن الكتاني . التشبيهات . 51 ، 52 .
[3] - المصدر نفسه . ص 52 .

يتصل بالشكل ، وهذه السمة الفنية التي بدت في شعرهم منذ نشأته ، كانت دائما من أوضح خصائص الشعر الأندلسي في كل العصور ، وإن أخذت مظاهر مختلفة من عصر إلى آخر ، ومن شاعر لآخر [1]» .

ومن بين السمات التي تظهر على كتاب التشبيهات سمة الإيحاء التي استعملها معظم الشعراء من خلال تجنبهم للتعبير المباشر أو الصريح لتكون الصورة بذلك أشد وقعا وتأثيرا على المتلقي ، وعلى سبيل التمثيل نجد في أحد الأبيات الشعرية بروز هذه الخاصية بشكل لافت ، في قول الشاعر(أحمد بن عبد ربه) [2] :

أهديتُ بيضًا وسُودا في تَلَوُّنهما كأنَّها من بَناتِ الرُومِ والحبشِ

الشاعر لا يصرح كل التصريح بمشبهه الذي يتمثل في فاكهة التوت التي يتراوح لونها بين الأبيض والأسود وإنما يكتفي فقط بالتلميح إليها .

3- **طغيان الجانب العاطفي** : «ونعي بذلك أن العاطفة تتضح في العمل الشعري ، حتى لتوشك أن تكون من أبرز عناصره[3]». وهذا ما يتجلى في أغلب التشبيهات التي تختص بوصف الطبيعة .

1 - أحمد هيكل . تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . ص 87 .
2 - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 84 .
3 - أحمد هيكل . المرجع السابق . ص 89 .

ولنأخذ لذلك مثلا ، أبيات (مازن بن عمرو) في حديثه عن الطبيعة الأندلسية [1]:

وروضةُ تَدمارٍ يروقُكَ حُسنُها　　　عليها رياطُ الوشي والحُللِ الصُّفرُ

ترى زَهراتِ النورِ فيها كأنَّها　　　عيونٌ أجالتها بهـــا الخرَّدُ الخُفر

الشاعر هنا يطرق موضوعا تقليديا ، متمثلا في الوصف ولكنه يبرز الجانب العاطفي حتى يكاد أن يكون هو المهيمن عن الجوانب كلها ، فهو لم يصف الروضة بغية إبراز حسنها وجمالها فقط ، بل إنه وصفها بأوصاف عاطفية فيها تلميح إلى الجانب النفسي أكثر منه إلى جوانب أخرى من خلال تشبيهه الروضة وما تحمله من أزهار بالعيون التي أجالتها بها الخرّد الخفر

ومن أجل تأكيد هذا الطرح نتناول مقطوعة شعرية حيث يبرز فيها الجانب العاطفي بشكل واضح خصوصا في البيتين الأخيرين ، يقول الشاعر (سليمان بن بطال المتلمس) [2] :

تبدَّتْ لَنَا الأرْضُ مزهَوَّةً　　　علينَا ببهجَةِ أثْوَابِـــــــها

كـــــأنَّ أزهَارَها أكؤُسٌ　　　حوتها أناملُ شرابِـــــــها

كـأنَّ الغُصُونَ لَها أذرعٌ　　　تنَاوَلَها بعضُ أصْحَابِهـا

---

1 - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 40 .

2 - المصدر نفسه . ص 41 ، 42 .

تُرى خمرُها من رُضابِ الهوى لآلىء في عينِ مرتابها

كـــــأنَّ تعانقُها في الجنوبِ تعانقُ خودٍ لأترابِـــــها

كـــــــأنَّ ترقرقَ أجفـــانِـه بُكَاها لِفُرقَةِ أحبابـــــها

الخيـــال الواســـع : ونعنـــي بـــه تلـــك الملكـــة الخاصـــة التـــي يمتلكهـــا الشـــاعر ويســـتطيع مـــن خلالهـــا أن ينقـــل القـــارئ مـــن واقعـــه الحقيقـــي إلـــى واقـــع افتراضـــي مـــن أجل دفعه إلى إعادة التأمل في واقعه .

لقـــد ظهـــرت هـــذه الســـمة فـــي أغلبيـــة المقطوعـــات الشـــعرية بـــدرجات متفاوتـــة ترجـــع بالأســـاس إلـــى القـــدرة الذهنيـــة التـــي يمتلكهـــا الشـــاعر ، والتـــي بهـــا يســـتطيع التأثير على القارئ .

2- الذوق الفني و الجمالي لابن الكتاني الأندلسي :

قدم القرن الرابع مؤلفات عديدة ساعدت على اكتشاف الذوق الفني لأصحابها من خلال آرائهم النقدية و ميولاتهم الأدبية ، إذ يعتبر ابن الكتاني الأندلسي من بين الأدباء الذين برزت أذواقهم الفنية والجمالية من خلال مؤلفاتهم التي تعكس قيمة أذواقهم ، وعليه يعتبر كتاب " التشبيهات " أول مجموعة شعرية وصلتنا تمثل العصر الأموي آنذاك ، « فهذه الفترة لم تصلنا دواوين شعرائها وكل ما نملكه من الشعر الأندلسي الذي يمثلها قطع مبثوثة في كتب التاريخ والتراجم ، وقطعة لعدد من الشعراء أوردها الثعالبي ، فهو على أنه نماذج مختارة في موضوعات مختلفة يسعف على معاودة النظر في شعر ذلك العصر ويصحح كثير من الأحكام التي أجراها عليه الدارسون ، ويوسع من حدود المجال الشعري والفني في تلك الفترة » [1]. ولذلك تعد هذه المختارات الشعرية أوفر دراسة استطاعت الإلمام بأغلب المواضيع الشعرية التي برع فيها شعراء الأندلس . أضف إلى ذلك كله أنه لم يسبق لأي أديب أو مؤلف قدم دراسة بهذه المنهجية الدقيقة والمركزة إلى حد بعيد ، فهي تعكس ما اتصل به شعراء الأندلس من ملكة تصويرية فنية وإبداعية .

---

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 13 ، 14 .

يتبـين مـن خـلال كتـاب " التشـبيهات " أن ابـن الكتـاني الأندلسـي يحـاول عـرض كـلا الاتجـاهين اللـذين سيطرا علـى الشـعر الأندلسـي منـذ نشـأته إلـى غايـة القـرن الخـامس هجـري ، ونجـد هـذا المؤلـف مـن خـلال المواضـيع التـي طرحهـا والتـي تعتبـر أهـم المواضـيع التـي بـرع فيهـا الأندلسـيون شـكلا ومضـمونا ، وكأنـه يريـد بـذلك إحصـاء مجـالات الشـعر التـي اتصـلت بهـا موهبـة التصـوير لـدى الأندلسـيين مـن وصـف للطبيعـة والتغنـي بأجمـل مظاهرهـا الجميلـة الرائعـة .ووصـف الخمـرة ومـا يتصـل بهـا مـن تغـزل بالنسـاء والغلمـان ، ناهيـك عـن تلـك الأبيـات التـي تحمل صفة السخرية والتهكم والطرافة والمداعبة .

يريد ابن الكتاني من خلال مختاراته الشعرية أن يبرز اتجاهان هما ::

1-الاتجــاه المحــافظ : ونعنـي بـه ذلـك الاتجـاه الـذي يهـتم بالموضـوعات التقليديـة مـن غـزل ومـدح وهجـاء ووصـف ... إلـخ . ثـم فـي أنـه كـان يسـير علـى مـنهج الأقـدمين فـي بنـاء القصـيدة ، وفـي تجميـع الصـور غالبـا مـن عـالم الباديـة ، وتـأليف أسـلوبها فـي الأعـم مـن لغـة تسـتوحي الـذاكرة والتـراث ، أكثـر ممـا تسـتوحي العصـر والواقع .

ولنقوم بأخذ نموذج يعكس هذه الفكرة : يقول الشاعر (عباس بن ناصح) في وصف مغيب الشمس[1] :

وشمسُ النهارِ قد هوتْ لِمَغيبِها كَعذراء تبغِي في الحجَالِ التَواريا

يتناول الشاعر هنا موضوعا تقليدا ارتبط بالشعر كل الارتباط منذ عصوره الأولى هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تشبيهه لصورة مغيب الشمس بتلك الفتاة التي تود أن تخفي جمالها عن الأنظار، وهذا الوصف تطرق له العديد من شعراء الجاهلية أمثال (امرئ القيس) و(عمرو بن كلثوم) في بعض أشعارهم .

الاتجاه المحدث : «ونعني بهذا الاتجاه الذي سار فيه بالمشرق أبو نواس ومسلم بن الوليد وأبو العتاهية وأمثالهم من المجددين ، والذي تزعمه أبو نواس ، حين ثار على الاتجاه التقليدي وندد بطريقته ، وراح يطرق أغراضا جديدة ، بمنهج جديد وأسلوب محدث »[2]. ولقد تأثر الشعراء الأندلسيون في بداياتهم بهذا الاتجاه الجديد في الشعر خصوصا في عهد (عبد الرحمان الأوسط) وما لبث حتى شاع بين مختلف الأدباء الأندلسيين .

---

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 88 .
[2] - أحمد هيكل . المرجع السابق . ص 127 .

ومن بين الأغراض الجديدة التي طرقها شعراء الأندلس ما يتعلق بالخمريات ونأخذ لذلك مثلا ، قول الشاعر (العتبي) وهو يصف الخمر[1]:

وعانِكَةٍ كعينِ الدّيكِ بكـرٍ   تقضَّت في الدنانِ لها دهورُ

ترى بين المِزاجِ لها حبَابًا   كأنَّ نـثيرَهُ الدرُّ النـثيـــــر

تخالُ كؤوسَها واللَيلُ داجٍ   كواكـبَ بيـن أيدينـــا تدور

« هذا ما يتعلق بالاتجاه المحدث من حيث الأغراض الجديدة التي بدأت تجذب الشعر الأندلسي ، أما من حيث الأسلوب الجديد ، الذي بدأ يتضح في الشعر السائر في هذا الاتجاه ، أنه أسلوب يميل إلى شيء من التفضيل ويتجه أحيانًا إلى القص ، وتشيع فيه روح الدعابة والسخرية والتحرر إذا كان الموضوع لاهيا ، كما تشيع فيه روح المرارة والكآبة والتزمت إذا كان الموضوع جادا . ثم هو غالبا أسلوب ترسم صوره من عناصر حضرية ، وتخلق أخيلته في آفاق غير آفاق البادية ، وتؤلف لغته من ألفاظ بسيطة واضحة حسنة الإيقاع ، وتميل موسيقاه إلى البحور القصيرة والقوافي الرقيقة » [2].

---

[1] - ابن الكتاني . التشبيهات . ص 89 .

[2] - أحمد هيكل . المرجع السابق . ص 130 .

وعليه فإن ابن الكتاني رصد كلا الاتجاهين من أجل الكشف عن السمات الأولى التي تميز بها الشعر الأندلسي في تقليده للقدامى وما لبث هذا الاتجاه حتى تأثر بالشعراء المجددين في بداية الأمر ، إلى أن تحرر الشعر الأندلسي وأصبح مركزا هاما يستقطب كل باحث يريد معرفة تلك الموضوعات الجديدة التي جاءت كرد فعل على الحياة البدوية في الأندلس .

من هذا المنطلق ركز ابن الكتاني على جمع كل ما يتعلق بالشعر الأندلسي في تلك الفترة ، وما حمله هذا الأخير من صور فنية مبتكرة تتجسد في موضوعات الطرافة والتندر وروح المداعبة والسخرية ، فلقد ركز بشكل كبير على طريقة الرسم بالصورة التي بدت مختلفة كل الاختلاف عن ما نظم في السابق ، وهذا دليل واضح على اهتمام المؤلف بالحركة الثقافية الأندلسية من أجل تأكيد استقلاليتها الفكرية والأدبية .

إذا تأملنا المختارات الشعرية لابن الكتاني نقول أن جلها توفر على مفردات صعبة المراص وليس من السهولة الكبيرة الوقوف على معانيها ، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى للمستوى الفني والثقافي للمؤلف الذي كان على اتصال دائم بجميع العلوم والميادين اللغوية ، أو ربما ذلك التأثير الذي أحدثته البيئة الأندلسية آنذاك علما أنَّ مرحلة تأليف الكتاب كانت من أزهى المراحل الأدبية

والثقافية التي مرت بها الأندلس ، كما أنَّ طائفة كبيرة من معاصريه توفرت لديهم صفة الغرابة في المصطلحات والغوص في المعاني بدرجة كبيرة ، وكل هذا يرجع بالأساس إلى المستوى الثقافي الباهر الذي غلب على طبيعة الشعراء آنذاك بغية الوصول إلى مجتمع متحضر مترف مستقل بأفكاره عن الأولين ، وعليه أصبح واقعهم الجديد مصدر إلهامهم في التعبير عن قرائحهم .

أما إذا عدنا إلى منهجية الكتاب والتي عكست ذوق الكاتب بدرجة كبيرة ، وجعلته ينفرد بين مصاف الأدباء والنقاد بمؤلفه الذي يعد مصدرا جديدا ساهم ولا زال يساهم في تحديد الخصائص والمميزات الفنية التي توفر عليها الإبداع الأندلسي في مراحله المتقدمة ، إلا أن ابن الكتاني في كتابه الثالث الذي يبدأ بالباب الثاني والخمسين فإنه يتناول الكتابة وأدواتها وبعض الآلات الحضارية الأخرى كالمذبة والمروحة ولكنه ينتقل فجأة من هذا المهيع الحضاري إلى الحديث في الأخلاق من جود وبخل وفي أصناف من الناس كالطفيليين والثقلاء ، وتنحو أشعار الباب نحو الهجاء والسخرية ليتلوها أبواب في الاعتبار بالفناء وفي الشيب والهرم وذكر الموت ، ثم يختتم الكتاب بباب عنوانه (باب شواذ تقل نظائرها) [1].

[1] - ينظر . ابن الكتاني . التشبيهات . ص 16 .

يتبـين مـن خـلال مـا سـبق أن ابـن الكتـاني غيـر ملتـزم بمنهجيتـه فـي الكتـاب ، فقـد جـاء الجـزء الثالـث مخالفـا تمامـا للجـزء يـن الأول والثـاني ويـرى فـي هـذا الموضـوع الباحـث (إحسـان عبـاس) أنَّ المؤلـف قـد أعيـاه الالتـزام بالمنهجيـة التـي اتبعهـا مـن البدايـة ، لـذلك وظـف فـي الكتـاب الثالـث أبـواب متفرقـة ، لكنـه يبـدو لـي أنَّ ابـن الكتـاني لـم يعيـه الالتـزام كمـا ذكـر إحسـان عبـاس فـي الكتـاب الثالـث ، وإنمـا موسـوعيته الكبيـرة المتمثلـة فـي أفكـاره الواسـعة مـن خـلال دراسـته للقـرآن الكـريم والغـوص فـي معانيـه وصـوره التـي تنـدهش لهـا العقـول ، واطلاعـه على دواوين العرب كان لها الأثر البالغ في عدم سيطرته على أفكاره .

يتضـح لنـا مـن خـلال محاولتنـا تتبـع الـذوق الفنـي للمؤلـف، أنـه كثيـرا مـا يسـتعمل الأداة (كـأنَّ) فـي صـوره التشـبيهية ، بـل مـن القليـل جـدا أن تلمـح صـورة فنيـة جُعلـت أداة الـربط بـين طرفيهـا غيـر الأداة السـابقة ، وكـأنَّ المؤلـف هنـا يريـد التأكيد على الصورة من خلال جمعه بين طرفيه التشبيه .

ومـن خـلال حـديثنا عـن الـذوق الفنـي لـ ابـن الكتـاني يتبين لنـا أنـه يريـد مـن خــلال مؤلفــه الموســوم بكتــاب " التشــبيهات " أن يظهــر لدارســي الأدب الأندلســي تلـك المهـارة التـي تـوفر عليهـا شـعراء ذلـك العصـر ، مـن الألفـاظ الجزلـة والموسـيقى العذبـة ، والمعـاني المبتكـرة ، والإيحـاء العميـق ، والخيـال الواسـع والتـي تصـب كلهـا

فـي مصـب التجديـد الموضـوعي ، وهـو بـذلك يريـد إبـراز ملامـح الشـعر الأندلسـي الـذي أصـبح يمتلـك شخصـية مسـتقلة بحيـث لا نعتبـر الأندلسـيين مقلـدين للمشـارقة تقليـدا يمكـن أن يقضـي علـى شخصـيتهم ويقلـل مـن شـأنهم ويفقـد تلـك الخصـائص المميزة لشعرهم .

خاتمة

يتــوفر الأدب الأندلســي علــى مصــادر ضــخمة و متنوعــة مثــل كتــاب " التشــبيهات مــن أشــعار الأنــدلس " الــذي يمثــل أصــدق وثيقــة تعكــس مــدى تطــور الــذوق الفنــي للعصــر الــذهبي بالأنــدلس ، والــذي يتــوفر علــى أهــم الخصــائص و الســمات الجماليــة كالإمتــاع ، الغرابــة ، الطرافــة ، و التنــدر. و هــذه الصــفات هــي التــي أكســبت الأدب الأندلســي الجــده و الابتكــار ، بالإضــافة إلــى ذلــك الــذوق الفنــي الرفيع الذي كان يتميز به كل من الأدباء و القراء في تلك الحقبة .

بعد دراستي لهذا الموضوع يطيب لي أن أسجل بعض النتائج التي توصلت إليها:

* يعد التشبيه من الصور الفنية والجمالية التي عرفها الأدب الأندلسي من خلال براعة الشعراء في توظيف هذه الظاهرة التي يعدها النقاد من أبرز الظواهر تأثيرا على المتلقي .

* أثرت البيئة الأندلسية كل التأثير في صقل موهبة الشعراء من خلال التفنن في الوصف والتغني بالطبيعة وما تحمله من رياض وبساتين وحدائق غنّاء ينجذب لها كل متأمل في الطبيعة الأندلسية الساحرة .

* كان للنهضة الثقافية التي شهدتها الأندلس الدور البارز في نضج الشخصية الأندلسية من جراء اجتماع أبرز الحوافز المساعدة على ذلك كتعلق بعض الأمراء بالمعرفة ومشاركتهم في ميادين الثقافة أمثال عبد الرحمان الأوسط ، بالإضافة إلى ماحمله بعض المشارقة من مؤلفات أدبية وفكرية ، زيادة على ماحمله الأندلسيون أنفسهم .

* ظهور الاتجاه المحدث في الأندلس متأثرا في ذلك بالمنهج الذي سار فيه أبو نواس في المشرق وأبو العتاهية وغيرهم من المجددين .

خاتمة

* تأثر الأندلسيون بالمشارقة في بداية الأمر فقط ، ثم بعد ذلك حملوا لواء التجديد والابتكار حتى أصبح أدبهم في طليعة الآداب جدة واختراعا .

* طرق شعراء الأندلس مختلف الأغراض من وصف وغزل وهجاء ، ولكن الغرض اللافت للانتباه هو الفكاهة والتندر من خلال بروز صفتي السخرية والتهكم .

* أما غرض الوصف فلقد أجاده الشعراء كل الإجادة ويختلف عن الأغراض الأخرى كل الاختلاف من ناحية البراعة في الاستعمال، والسبب في ذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى الطبيعة الأندلسية التي تنطق كل صامت .

* تختلف التشبيهات الواردة في كتاب " التشبيهات من أشعار أهل الأندلس " عن أي تشبيهات أخرى قد يحملها مؤلف آخر نظرا لتوفرها على صفات الغرابة والإمتاع والإيحاء من خلال الغوص في المعاني والاعتناء بالمحسنات البديعية .

* طغى على أبرز التشبيهات الواردة في الكتاب بعض الخصائص والسمات نجملها في أربعة عناصر وهي كالتالي :

1- التجديد في الموضوعات .

2- طغيان الجانب العاطفي .

3- الايحاء البسيط والمعقد .

4- الجودة الفنية .

خاتمة

* امتلاك ابن الكتاني لذوق فني خاص جعله يتصدر قائمة الأدباء الأندلسيين من حيث محاولته عرض المجالات التي اتصلت بها ملكة التصوير عند الأندلسيين، التي في أغلبها تخضع لترتيب موضوعي .

* يعد كتاب " التشبيهات " أوفى مجموعة شعرية وصلتنا تمثل العصر الأموي في الأندلس بجميع تفرعاته الأدبية والفكرية، وبذلك أصبح هذا الكتاب ألمع مصدر لدارسي الأدب الأندلسي ، ويعود الفضل إلى حاسة الذوق الفني الرفيعة التي يمتلكها ابن الكتاني .

* استطاع ابن الكتاني أن يعرض معظم الجماليات التي احتواها التشبيه إبان العصر الأموي في الأندلس، بمختلف تفرعاته وأقسامه .

* لقد خضع كل من الكتاب الأول والثاني لترتيب منطقي وموضوعي ، إلا أنَّ الكتاب الثالث لم نلحظ فيه هذا الترتيب والسبب ربما يعود لموسوعية المؤلف والتي من خلالها يفقد السيطرة على أفكاره .

وبالرغم من محاولتي لاكتشاف الجماليات التي توفر عليها كتاب " التشبيهات " ، إلى أن هذا المصدر مازال يغري بالبحث والدراسة ، لأنه لازال يحتوي على قضايا خفية تحتاج إلى دارس مُجد لإنارتها .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أولا : المصادر

1- ابن الكتاني (أبو عبد الله محمد الطبيب) (420 هـ) . التشبيهات من أشعار أهل الأندلس . تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت لبنان .

ثانيا : المراجع باللغة العربية :

1- أحمد ضيف . بلاغة العرب في الأندلس . دار المعارف للنشر والتوزيع . سوسة . تونس . ط2 . 1998 .

2- أحمد هيكل . الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة . دار المعارف . القاهرة . 1980 .

3- إحسان عباس . تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – . دار الثقافة للنشر والتوزيع . بيروت . لبنان . ط2 . 1969 .

4- امرئ القيس . الديوان . الديوان . تحقيق مصطفى عبد الشافي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . 1989 .

5- خليفة بن عربي . إشكالية الذوق الفني عند محمود محمد شاكر . دار الصفحات للنشر والتوزيع . دمشق . سورية . 2011 .

6- جابر عصفور . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب . المركز الثقافي العربي . ط3 . 1992 .

7- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (542) . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . تحقيق إحسان عباس . ق1/ م1 . دار الثقافة . بيروت . لبنان . 1997 .

8- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن الفتوح بن عبد الله) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس . تحقيق بشار عواد معروف و محمد بشار عواد . دار المغرب الإسلامي للنشر والتوزيع . ط7 . 2008 .

9- عبد العظيم علي قناوي . الوصف في الشعر العربي . الجزء الثالث .

10- عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز . تحقيق أبو فهد محمود محمد شاكر .

11- عز الدين إسماعيل . الأسس الجمالية في النقد العربي . ط3 . 1974 .

12- عز الدين إسماعيل . الأدب وفنونه . دار الفكر العربي للنشر والتوزيع . القاهرة . ط 9 . 2004 .

13- غازي طليمات وعرفان الأشقر . تاريخ الأدب العربي . دار الإرشاد للنشر والتوزيع . دمشق . ط1 . 1992 .

14- قدامة بن جعفر (أبو الفتوح) . نقد الشعر . تحقيق عبد المنعم خفاجي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .

15- ابن رشيق . قراضة الذهب في نقد أشعار العرب . تحقيق الشاذلي بويحيا . الشركة التونسية للنشر والتوزيع . 1972

16- محمد الولي . الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي عند العرب . المركز الثقافي العربي . بيروت . لبنان . ط1 . 1990 .

17- مصطفى ناصف . الصورة الأدبية . دار الأندلس للنشر والتوزيع . القاهرة . ط3 . 1996 .

18- نجوى صابر . الذوق الفني وتطوره عند النقاد العرب حتى القرن الخامس هجري . دار الوفاء للنشر والتوزيع . الإسكندرية . مصر . ط1 . 2007 .

19- ابن سعيد . المغرب في حلى المغرب . تحقيق شوقي ضيف . دار المعارف . الجزء الأول . ط4 .

ثالثا : المعاجم باللغة العربية:

1- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي) . لسان العرب . مادة (شعر) . المجلد الرابع . دار صادر . بيروت .ط1 . 1997 .

رابعا : الكتب المترجمة :

1 – جورج سانتيانا . ترجمة محمد مصطفى بدوي . تحقيق زكي نجيب محمود . 2001 .

فهرس الموضوعات

Résumé:

Le livre de similés est contient un certain nombre de caractéristiques esthétiques et techniques Voici ce que nous avons trouvé grâce à notre analyse des portes les plus importantes et les plus précises, et c'est ce qui nous a conduit à cette spéciale découverte de goût artistique appartenant à ibn elketani par sa manière de formuler anthologie de poésie contenant la plus belle ce qui a été dit au cours de la période des omeyyade. cette recherche en conformité avec les éléments suivants

- Introduction
- Entrée (définition de l'auteur et son temps)
- Chapitre I (entre l'image esthétique littéraire et le goût artistique)
- Chapitre II (artistique goût d' Ibn elketani par ses papiers poétique)
- Conclusion

Nous avons parlé dans le premier trimestre de l'image à long terme et tout ce qu'elle implique des notions de trésorerie, à travers les déjà vieilles critiques à la pointe du terme, alors que les critiques narrateurs fait ce terme est associé à chaque lien entre le degré de maturité de l'imagination lorsque l'auteur ou de l'écrivain, ce dernier qui possède le goût artistique chaque variation diffère du lecteur, et il a été le Département de Taha Hussein goût artistique au goût général et spécial

dans le deuxième chapitre on a parlé des éléments les plus importants esthétiques que les comparaisons techniques d'ibn elketani par le biais des recettes suggèrent et imaginative, et étrangeté, ce dernier qui lui a valu un goût spécial techniquement différent du reste des autre écrivains.

Toutes ces qualités liées à la poésie andalou lui a rendue dans les première places dans le domaine de la régénération au niveau de la forme et du contenu . malgré ses résultats obtenus on toujours besoin de chercheurs de haut niveaux pour découvrir secrets